الإلهام عند أرباب السلوك

أ. علي عبدالسلام شميلة
قسم الاقتصاد والمالية الإسلامية
الجامعة الأسمرية الإسلامية. ليبيا

Ali Abdulsalam Eshmiala
Department of Islamic Economics and Finance
Alasmarya Islamic University. Libya

تاريخ تسليم البحث للمجلة: 2023/05/14م – تاريخ قبول البحث 2023/06/15م

ملخص البحث: هذا هو البحث الثالث من سلسلة بحوث عن الإلهام ، به نستكمل ما يتعلق بالتصوير والتصور ، ليأتي بعده رابع عن الحجية والضوابط ، وقد خصص هذا لإلهام أرباب السلوك ، وجاء في مدخل و مباحث أربعة، مبحث لمعنى الإلهام عند القوم، وثان للعلم الناشئ عنه (العلم اللدني)، وثالث عن كيفية حصول الإلهام في قلوب السالكين، أما الرابع فللحديث عن منهج المتصوفة في التعامل مع الملهَمات .

الكلمات المفتاحية: الإلهام، اللدني، الغزالي، ابن عربي، الهروي.

المقدمة:

الحمد لله الذي أحاط بكل شيء علماً، ولا يحاط بشيء من علمه إلا بما شاء، يخص أهل ولايته برحمة من عنده، وعلم من لدنه، تنكشف به أسرار من الغيب، وتتجلى عجائب من الملكوت، خير رزقه نبوة ورحمة، وإيمان وحكمة، وعلمُ مالم يُعلم، وقد قضى الله أن تختم النبوة بخير خلقه وأعظم رسله، فبقي الإيمان وبقيت الحكمة، يؤتيها الحكيم من يشاء، (وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً).

وصلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته على نبيّه المرسل، من أنزلَ ربُّه عليه الكتاب، وما تلا قبله من كتاب، ولا خطت يمين ، وأنزل عليه الحكمة وعلمه مالم يكن يعلم، وكان فضل مولاه عليه عظيما ، سيد ولد آدم، وخاتَم النبيين وخاتِمهم، وزينة الملك والملكوت.

وبعد:فإن مسائل الإلهام والكشف وما يتعلق بعوالم الغيب وما وراء الحجب ممّا اختلف الناس فيه حالا ومقالا اختلافاً عظيماً؛ لأنه وكما يقول ابن القيم – رحمه الله –: « المجال الضنك والمعترك الصعب الذي زلت فيه أقدام وضلت أفهام، وافترقت بالسالكين فيه الطرقات »[1]، وصعوبة معترك هذا لعلها ترجع إلى كون عوالم الغيب تيكم لا تدرك لا بالحس ولا بالعقل، وإنما بخبر صادق، أو بذوق هو عند أهله قائم مقامه، لكن الذوق للذائق، وإذا كان الذوق في المحسوسات لذة وألماً لا يعرفه إلا ذائقه، ولولا أن الناس فيه يشتركون لأنكره بعضهم على بعض، فكيف به فيما لا يُرى ولا يُحس؛ لذلك زلت أقدام، وضلت أفهام، لكن تلك التي زلت وضلت لم تكن أقدام بعض أهل الطريق فقط، ممن حاد عن الطريق، كما يتوهمه صاحب غرض؛ أو يفهمه قاصر فهم، بل كان ممن ضلت أفهامهم كثير من منتقدي أرباب السلوك ومخالفيهم، وهؤلاء كما وصف ابن القيم قوم حجبهم بعض ما اعتبره – رحمه الله – أخطاء وشطحات عن محاسن الطائفة، ولطفِ نفوس أهلها، وصدق معاملتهم، فأهدروها لأجل ذلك وأنكروها غاية الإنكار، وأساءوا الظن بها مطلقاً.

(1) مدارج السالكين ج1 ص 216.

والمِنزِلُ الحق كما يرى ابن القيم ويرى كل منصف إعطاءُ كل ذي حق حقه، وإنزال كل ذي منزلة منزلته، قَبول ما يُقبل، ورد ما يُرد، منزل وسط بين أولئك من أشرنا وبين من حُجبوا بما رأوا من محاسن القوم، وصفاء قلوبهم وصحة عزائمهـــــــم وحسن

معاملتهم عن رؤية العيوب.

هذا المنهج العدل والمنزل الوسط قدم ابن القيم نفسه أنموذجاً عليه لما علّق على ما اعتبره شطحة من شيخه الهروي عند وصفه الرجاء بأنه أضعف منازل المريدين ، فقال بعد أن ذكر كلام الهروي: « ونحن نحمل كلامه على أحسن محامله ثم نبين ما فيه ... وهذا وجه كلامه وحمله على أحسن محامله » [1]، وبعد أن بين ما رآه فيه بعبارة رقيقة واعتذار لطيف ختم : « ولولا أن حق الحق أوجب من حق الخلق لكان في الإمساك فسحة ومتسع، والله يشكر لشيخ الإسلام سعيه، ويعلي درجته ويجزيه أفضل جزائه، ويجمع بيننا وبينه في محل كرامته، فلو وجد مريده سعة وفسحة في ترك الاعتراض عليه واعتراض كلامه لما فعل، كيف وقد نفعه الله بكلامه، وجلس بين يديه مجلس التلميذ من أستاذه، وهو أحد من كان على يديه فتحه يقظة ومناماً؟! » وتابع في أدب العالم: « وهذا غاية جهد المقل في هذا الموضع، فمن كان عنده فضل علم فليجد به، أو فليعتذر، ولا يبادر إلى الإنكار، فكم بين الهدهد ونبي الله سليمان؟ وهو يقول له (أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ)، وليس شيخ الإسلام أعلم من نبي الله، ولا المعترض عليه بأجهل من هدهد »[2].

هذا على الجملة وإنما ذكرته هنا ليتبين قوم لم يحسنوا علم العلماء ولا أدبهم، لعلهم يهتدون.

أما على التفصيل فإنه قد يظن متسرع أن علماء الإسلام مختلفون حول أصل الإلهام أو أصل الكشف، وليس الأمر كما ظن، فإن علماءنا وإن اختلفوا في حدود الإلهام والكشف فإنهم لم يختلفوا في أصلهما، بل هم مجمعون على ذلك قائلون به، لكنهم يختلفون فيما بعده وما تحته من تفاصيل، وكيف ينكر الإلهام منكر وقد ثبت بنص التنزيل؟!

فلا الكشف ولا الذوق مما اختص به المتصوفة فقط ولن أطيل في هذا، لكني أذكر للبيان والتأكيد مقالة ابن القيم معلقاً على كلام شيخه الهروي عند حديثه عن الدرجة الثالثة من درجات اليقين يقول – رحمه الله –: « وهذا أمر التحكم فيه إلى الذوق والإحساس ، فلا تسرع إلى إنكاره »[3]، أما عن الكشف فهذا ابن تيمية نفسه يقول: « فإن ما يلقيه في قلوب المؤمنين من الإلهامات الصادقة العادلة هي من وحي الله، وكذلك ما يريهم إياه في المنام »[4]، « فكلما استعمل العبد عقله وعمل بعلمه وأخلص في عمله وصفا ضميره وجال بفهمه في بصيرة العقل وذكاء النفس وفطنة الروح وذهن القلب، وقوى يقينه ونفى شكه وضبط حواسه بالآداب النبوية، وقام على خواطره بالمراقبة وتحرى ترك الكذب في الأقوال والأفعال وصار الصدق وطنه، وذهب عنه الرياء والعجب وأظهر الفقر والفاقة إلى معبوده، وتبرأ من حوله وقوته ولزم الخدمة وقام بحرمة الأدب وحفظ الحدود والاتباع، وهرب من الابتداع، زيد في معرفته وقويت بصيرته وكوشف بما غاب عن الأعيان، وصار من أهل الزيادة بحقيقة مادة الشكر الموجبة للمزيد»[5] .

---

(1) المدارج ج2 ص 38.

(2) السابق ج2 ص 52 والآية 22 من سورة النمل ، والتلمذة هنا على الأثر لا على العين ،إذ بين الرجلين من الزمان قرون .

(3) المدارج ج2 ص 380

(4) مجموع الفتاوى ج 15، ص 97.

(5) درء تعارض العقل والنقل ج4 ص 358.

وأما إلهام المتصوفة خاصة وما ينشأ عنه من علم فلأنه كان مادة جدل واسع ونقاش عريض من علماء الأصول كان هذا البحث عن "إلهام أرباب السلوك" ثالث أربعة عن الإلهام؛ إذ سبقه أول عن المفاهيم الأساسية المعنى والأنواع والمفاتيح، وثانٍ عن الإلهام في الكتاب والسنة وكلام السلف، ويعقبه بإذن صاحب الأمر رابع عن الحجية والضوابط، لعلّي أسهم به في تصوير المسألة تصويراً يزيل عنها الإبهام ويرفع الإشكال ويكون مقدمة لما يأتي بعده، وقد جاء بعون الله في مدخل وأربعة مباحث بين مقدمة وخاتمة ، فكان المدخل عن عناية المتصوفة بعلوم الآخرة ، وما يرتبط بها ، وكان المبحث الأول عن معنى الإلهام عندهم ، أما المبحث الثاني فقد عرض للعلم الناشئ عن الإلهام (العلم اللدني) وقد ذكرت فيه مقالة ثلاثة من كبراء القوم وأشياخهم، هم الهروي والغزالي وابن عربي ، وكان المبحث الثالث عن طريقة المتصوفة في تهيئة القلب والنفس لحلول الإلهام ، أما الرابع فعن منهجهم في التعامل مع الملهَمات ، وقبل الولوج إلى الموضوع أود التنبيه إلى أمور :

الأول: كان الغالب في هذا البحث نقل كلام القوم مع تعليقات مقتضبة، ليُترك لهم هم وصف مذهبهم بأنفسهم، فهم أعرف الناس به، مؤجلين التحليل والمناقشة إلى بحث آخر، إذ لا تحتمل طبيعة بحث لدورية أكثر مما دوّن.

الثاني: كان منهجي في بحثي هذا قائماً على الاطلاع على دراسات سابقة نشرت حول الإلهام بعامة، وإلهام المتصوفة بخاصة، أستفيد منها في تكوين فكرة أو أفكار أنفذ من خلالها إلى المصادر الأصلية، ومن شأن هذا أن يثير في ذهني أسئلة شتى تكون مدخلاً ومنطلقاً للبحث والدراسة، ومن شأنه كذلك تبيين مدى دقة النقل من ناقل، وجودة الفهم من فاهم، وقد تركت لنفسي أن تقرأ في هذا ما وقعت عليه عين مما سمح به ظرف ووقت، دون أن ألتزم في ذلك منهجاً معيناً أو أرسم له خطة، لأني لم أقرأ لأعتمد بل لأتعرف وأكوّن فكرة، وقد كان، وما أود التأكيد عليه في هذا تنبيهان :

الأول : أن الرجوع إلى بعض البحوث المنشورة لم يكن لأجل الاستغناء بها عن المصادر الأصلية، بل لأجل ما سبق بيانه، فمنزلتها من البحث كمنزلة "العلم الكسبي" عند المتصوفة، لا غنى عنه ولا استغناء به !!

الثاني : أنه كان من بين ما قرأت مراجع هي أقرب إلى الانتماء إلى علوم أخرى منها إلى العلم الشرعي، فلما وجدت فيها ما يمكن أن يضيف أضفته، وإنما ذلك لمزيد الشرح والإبانة، استئناسا لا تأسيسا ، فبعد أن أوضح الأمر بالرجوع إلى المصادر المعتمدة عند أهل الشريعة، أزيده شرحا بذكر ما هو عند غيرهم، ويظهر ذلك واضحاً عند حديثنا عن "الكتابة الصوفية".

ومن البحوث المنشورة التي اطلعت عليها:

1. الإلهام عند الأصوليين، العبد خليل أبو عيد، وأشرف محمود بني كنانة، دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد 33، العدد 1، 2006م.
2. الإلهام عند الصوفية، د. منصور بن عبد العزيز الحجيلي، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، السنة الثانية، العدد3، 1435هـ.
3. الإلهام في الكتابات الصوفية روافد وتجليات وإشكالات، خالد التوزاني، مجلة يتفكرون، عدد 5، خريف 2015م.
4. الإلهام مفهومه ودلالته وموقف الأصوليين والصوفية منه، د. محمد عبد الكريم بركات.
5. التأويل الصوفي ومصطلحاته عند محيي الدين بن عربي ، د. لطيفة يوسفي .
6. حقيقة الإلهام ومدى الاحتجاج به في الأحكام، د. خالد بن بكر آل عابد، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد 147.
7. دلالة الإلهام، د. خالد بن محمد العروسي بحث منشور على شبكة المعلومات .

8. دلالة الإلهام، د. نجم الدين عبد الله محمد، مجلة كلية العلوم الإسلامية، كلية الإمام الأعظم، جامعة نينوى، المجلد السابع، العدد 2/14، 1434هـ – 2013م.
9. دلالة الإلهام، د.كمال أوقاسين، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، جامعة الجزائر، المجلد 12 العدد 4 ديسمبر 2012م.
10. ضوابط الإلهام وما يتفرع عنها من أحكام ، د. خالد بن بكر آل عابد، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج19، ع43، ذو الحجة، 1428هـ.
11. الكشف والإلهام بين أهل السنة والصوفية، لشريف طه، وهو بحث منشور على موقع مركز سلف للبحوث والدراسات أوراق علمية،230
12. مفهوم الإلهام عند الإمام أبي حامد الغزالي، د. سها عبد المنعم منصور، مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية.

وهذه البحوث وإن أخذ على بعضها قصوره فيما يتعلق بتصوير موضوع الإلهام عند المتصوفة وإيفائه حقه من ذلك، إذ جاءت عامة في عرضها مركزة على مبحث الحجية دون بحث موسع في تصوير محل النزاع، فغلّبت التصديق على التصوير والتصور، كما يؤخذ على بعضها رغم حسن العرض والمناقشة عدمُ الربط بين موضوع الإلهام عند أرباب السلوك وبين ما يتعلق به من مباحث أصول الفقه، فكانت أقرب إلى الفلسفة والفكر منها إلى الأصول، وأخذ على ثالث أنه بحث موضوع الإلهام عند الصوفية لينقض لا ليتفهم، وليهاجم لا ليحمل على أحسن المحامل، فغلُب ما في الذهن على ما في الورق، فشطّ الحكم، وقست العبارة، وقلّت الفائدة!!

هذه البحوث وإن أخذ على بعضها لا على جميعها ما تقدم، فقد استفدت منها جميعاً– ما أخذت عليه وما لم – في تكوين أفكار وإثارة أسئلة كانت مدخلاً لدراسة الموضوع، وواجب الإنصاف يقتضي أن أقرّ بأن تلك الدراسات كانت للفقير إلى ربه – وكلنا إلى ربه فقير – مرشدة ملهمة، بما تكلَّمَت وتكلمتُ، أو عما سكتَت وسكتتُ، في صوابها وفيما بدا منها أنه خطأ.

الأمر الثالث: أثار إلهام المتصوفة أسئلة كنت أرغب في مناقشتها وقد دونت ملحوظات حولها، لكن ضوابط النشر وأموراً أخر أجلت ذلك إلى بحث قادم، أجمع به ما أثاره ما مضى من هذه السلسلة وما يثيره ما بقي من قضايا وأسئلة، ومن تلك أسئلة العلاقة بين عالم الغيب وعالم الشهادة، والفرق بين علم النبي وعلم الولي وعلم الملائكة، وما هي حدود الإلهام والعلم الناشئ عنه، وهل يُخَصّ الأدنى بعلم دون الأعلى، ثم هل نسلّم أو ننكر أو نتوقف، وما دليل ذلك كله، وهل في تجاربنا وحياتنا نحن ما يدفع إلى هذا أو إلى ذاك، وما الميزان الذي يُعرف به محكم الإلهام ومتشابهه، أليس الإلهام – وبنص التنزيل – وحياً، وإن كان دون الوحي، وفي الوحي محكَمٌ ومتشابِه؟!!

كل هذا وغيره لعلنا نناقشه إذا كان في العمر بقية وفسحة من عاقبة، محاولين الفهم فالفهم ثم الفهم، مع حمل الكلام كما قال ابن القيم على أحسن محامله – وكِسوتِه على ما نقدر من هذه – أحسن عبارة، فللقوم في القلب مودة، ومن المودة بيان خطئهم فيما يبدو، إن هم أخطأوا فيما يبدو!!

الأمر الرابع: سواء اتفقت مع القوم أم اختلفت فإن القدر الذي تعلمه من نفسك وتجده فيها إن أنت إليها رجعت أن صحبة القوم حلوة، وكلامهم ماتع، وعبارتهم بديعة، وأنك إذا جالست ما سطروا أحسست بأُنس، وإذا صحبت ما كتبوا تغشتك سكينة، ومع الأنس والسكينة رغبة في طاعة واشتياق إلى مزيد، ولعل مرد الأنس بهم أنهم لما قاموا مقام التذلل والخضوع، واشتغلوا بالذكر حالاً ومقالاً أنِسهم المصاحب واستأنس بهم ، وكيف لا يأنس وهم جلساء الرحمن وهو جليسهم ؟!، أما عذوبة العبارة

وحلاوة المقالة فمردها أن القوم لما أسِفت قلوبهم رقّت عبارتهم : « إن أبا بكر رجل أسيف، إذا قام مقامك رق »، وقد كان لجمال عبارتهم وعذوبتها مع صدقها ورقتها أثر فيمن كتب عنهم وإن عد من خصومهم ومخالفيهم، يقول ابن تيمية – رحمه الله – بلغة صوفي متحدثاً عن الفناء: « وهو يحصل لكثير من السالكين، فإنهم لفرط انجذاب قلوبهم إلى ذكر الله وعبادته ضعفت قلوبهم عن أن تشهد غير ما تعبد، وترى غير ما تقصد، ولا يخطر بقلوبهم غير الله ولا يشعرون، كما قيل في قوله تعالى: (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً) قالوا: فارغاً من كل شيء إلا من ذكر موسى، وهذا كثيراً ما يعرض لمن دهمه أمر من الأمور، إما حب وإما خوف وإما رجاء، ويبقى قلبه منصرفاً عن كل شيء إلا مما قد أحبه أو خافه أو طلبه؛ بحيث يكون عند استغراقه في ذلك لا يشعر بغيره، فإذا قوي صاحب الفناء هذا فإنه يغيب بموجوده عن وجوده، وبمشهوده عن شهوده، وبمذكوره عن ذكره، وبمعروفه عن معرفته، حتى يفنى من لم يكن وهي المخلوقات، ويبقى من لم يزل وهو الرب تعالى، والمراد فناؤها في شهود العبد وذكره، وفناؤه عن أن يدركها أو يشهدها ».[1]

أليس هذا بكلام صوفي، ومن ساداتهم؟!

بقي جواب سؤال لعله أن يخطر ببال : هل إلهام الصوفية هذا من مباحث أصول الفقه، وكيف؟

وجواب هل نعم، أما جواب كيف فلأن هذا داخل في تصوير محلّ النزاع؛ إذ أن إلهام أرباب السلوك هو محل النزاع، فاحتاج إلى تحرير وبيان، وهذا تحريره وبيانه، ومثاله أنك إذا رمت بحثاً عن المصلحة المرسلة مثلاً فلا مناص لك من بيانها عند المالكية لأنهم أبرز من قال بها، وإذا رمت بحثاً في الاستحسان لزمك بيانه عند أبي حنيفة وأصحابه، وكلما كان البيان "تحرير محل النزاع" مفصلاً كان إلى حكم منصف يقوم عليه أقرب، وتصوير المسألة أمر في غاية الأهمية ، لأن الحكم على الشيء وكما قيل فرع عن تصوره ، فلا حكم بدون تصور ، ولا تصور إلا بتصوير .

ختاماً: لعلّه إنصافاً للموضوع وللباحث التأكيد على أن موضوع الإلهام عند المتصوفة متشعب واسع، ولا أُبعِد النُّجعَة إن قلت: إن مطولات قد لا تكفيه فكيف بوريقات، لكنها إشارات وومضات وتنبيهات، عشت معها أياماً عذبة، رغم معاناة السقم، وألم فراق أمّ علي، غفر الله لي ولها وللمسلمين والمسلمات، وألحقنا بهم بعمل صالح، وقلب سليم.

❁❁❁

الإلهام عند أرباب السلوك "المتصوفة"

مدخل :

وقوع الإلهام مما يكاد يجمع على القول به أهل ملة الإسلام لدلالة القواطع عليه، حتى قال بعض العلماء: «من أنكر الإلهام والكشف كان أحوج إلى التعزير منه إلى الجدال والمناقشة، فإن إنكاره مع كثرته واشتهاره مكابرة ولا ريب»[2]، خاصة إلهام الأنبياء الذي هو حجة عند الجميع، قال في مسلم الثبوت: « ثم إلهامه – صلى الله عليه وآله وسلم – حجة قطعية عليه وعلى غيره » وقال شارحه: « يكفر منكر حقيقته، ويفسق تارك العمل به كالقرآن»[3].

---

(1) العبودية ص 128.

(2) دلالة الإلهام للدكتور خالد بن محمد العروسي ، وقد خلص إلى هذا تعليقا على قول الزركشي عند ذكره الأدلة : (واضطربوا في علوم الإلهام والتوسم والمحادثة) البحر المحيط تحقيق محمد تامر دار الكتب العلمية بيروت ،ط1 ، 1421هـ / 2000م ، ج1 ص 47، فبين أن الاضطراب في اعتباره مدركا للأحكام لا في أصله المقطوع به .

(3) مسلم الثبوت لعبد العليم حمد بن نظام اللكنوي ،وشرحه فواتح الرحموت لمحل الله بن عبد الشكور البهاري، ضبطه وصححه :عبدالله محمود عمر

لكن وعلى الرغم من الإجماع على وقوع الإلهام –كما تقدم – فقد اختلف في كونه مدركاً للعلوم والمعارف، فقال به بعض ومنعه آخرون، ومن أشهر القائلين به الصوفية الذين كان لهم مزيد عناية بالإلهام، ومزيد اختصاص به، لعنايتهم بما اعتبروه "علوم الآخرة" وما سموه "علم الباطن" أو "علم القلوب" وجعلوه غايتهم، والإلهام والكشف طريقهم إلى هذا العلم إن لم يكن هو نفسه، يقول الغزالي –رحمه الله – بعد أن يقسم العلم إلى علوم الدنيا وعلوم الآخرة: « وإنما نعني بعلم طريق الآخرة العلم بكيفية تصقيل هذه المرأة عن هذه الخبائث التي هي الحجاب عن الله سبحانه وتعالى وعن معرفة صفاته وأفعاله وإنما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاقتداء بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في جميع أحوالهم فبقدر ما ينجلي من القلب ويحاذي به شطر الحق يتلألأ فيه حقائقه ولا سبيل إليه إلا بالرياضة التي يأتي تفصيلها في موضعها وبالعلم والتعليم وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من أنعم الله عليه بشيء منها إلا مع أهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الأسرار وهذا هو العلم الخفي الذي أراده صلى الله عليه وسلم بقوله إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله تعالى فإذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله تعالى »[1] وبعد أن يبين المقصود بعلم الأخرة يقسمه إلى علم مكاشفة وعلم معاملة[2]: « علم المكاشفة: وهو علم الباطن، وذلك غاية العلوم ... وهو علم الصديقين والمقربين، وهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة، وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسماءها فيتوهم لها معاني مجملة غير متضحة، فتتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله تعالى، وبصفاته الباقيات الثابتات ... »[3]، ويقول لمزيد البيان: « ونعني بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق في هذه الأمور اتضاحاً يجري مجرى البيان الذي لا يشك فيه»[4]، يقول ابن عربي رحمه الله : « يتبين لك أن العلم الصحيح لا يعطيه الفكر ولا ما قررته العقلاء من حيث أفكارهم ، وأن العلم الصحيح إنما هو ما يقذفه الله في قلب العالم ، وهو نور يختص به الله في قلب من يشاء من عباده من ملك أو رسول ونبي وولي ، ومن لا كشف له لا علم له »[5] ، ولأن غاية الصوفية ومبتغاهم ما يعتبرونه علوم الآخرة في مقابل علوم الدنيا، وذلك عندهم هو علم الصديقين والمقربين فإنهم ينقلون بعضاً من آثار المقربين تأكيداً لهذا المعنى، فهذا ابن مسعود فيما نقل الغزالي يقول عن موت عمر – رضي الله عنهما –: « مات تسعة أعشار العلم! فقيل له: أتقول ذلك وفينا جلة الصحابة؟ فقال: لم أرد علم الفتيا والأحكام، وإنما أريد العلم بالله تعالى»[6]، ويعقد الغزالي مقارنة بين ما هو محل عناية الفقهاء من اهتمام بالأحكام العملية، وبين عناية المتصوفة بعلوم الآخرة لا تخلو من حدة في العبارة وقسوة في الحكم، بل إنه يؤكد بتتبع أحوال كبار الأئمة "أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والثوري" أنهم إنما كانوا علماء باطن وإن علا شأنهم في علم الظاهر، ثم يختم ذلك بعبارة تختصر مذهبه في هذا: « وعلماء الظاهر زينة الأرض والملك، وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت»[7].

دار الكتب العلمية، ط1/ 1423هـ 2002م ج2 ص 410 .

(1) إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي دار المعرفة بيروت ج 1 ص 20.

(2) السابق ج1 ص 19 ، وعلم المعاملة عندهم هو: علم أحوال القلوب ما يحمد منها وما يذم .

(3) السابق الصفحة نفسها .

(4) السابق ج1 ص 20

(5) الفتوحات المكية ج 3 ص 335

(6) إحياء علوم الدين ج1 ص 23.

(7) السابق ج1 ص 22

ومع إعلاء المتصوفة قدر علم الباطن وأنه الغاية والمنتهى فإنهم لم يهملوا علم الظاهر، بل يرونه الواجب الأول قبل النظر في علم السلوك، يؤكد هذا الغزالي نفسه إذ يشترط لحصول المعرفة شروطاً ثلاثة أولها تحصيل جميع المعارف وأخذ الحظ الوافر من أكثرها، « فإن النفس إذا تعلمت وارتاضت بالعلم ثم تتفكر في معلوماتها بشروط التفكير الصحيح ينفتح عليها باب الغيب، فمن ترك التعلم كمن ترك الحراثة وطرق الكسب رجاء العثور على كنز من الكنوز، فإن ذلك ممكن لكنه بعيد جداً، فلابد من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا بأس بعد ذلك بانتظار ما لم ينكشف لسائر العلماء فعساه أن يكشف بعد ذلك بالمجاهدة»[1] ، وتأكيداً على هذا المعنى ينقل الغزالي في إحيائه عن الجنيد[2] – رحمه الله – « قال الجنيد – رحمه الله – قال لي السري[3] شيخي يوماً: إذا قمت من عندي فمن تجالس؟ قلت: المحاسبي[4]، فقال: نعم خذ من علمه وأدبه ودع عنك تشقيقه الكلام ورده على المتكلمين، ثم لما وليت سمعته يقول: جعلك الله صاحب حديث صوفياً، ولا جعلك صوفياً صاحب حديث »، ويشرحه الغزالي مقرّاً: « أشار إلى أن من حصل الحديث والعلم ثم تصوف أفلح، ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه »[5].

وهذا الذي شرحه الغزالي من كلام السري شيخ الجنيد تجده مصرحاً به في كلام الجنيد – رحمه الله – نفسه، يقول مشيراً إلى العلم الكسبي مبيناً أهميته عنده: « باب كل نفيس بذل المجهود ».[6]

لكن الصوفية مع عدم إهمالهم علم الظاهر خاصة ما هو ضروري منه لإصلاح العبادة وما يحتاج إليه من معاملات وحرصهم على أخذ الحظ الوافر منه لخاصتهم ، فإنهم لا يبلغون بذلك مبلغ جعله الغاية والكفاية، بل هو عندهم علم وسيلة، لا يمكن الاكتفاء به وإن بلغ فيه المرء مبلغ تحصيل مسائله على التفصيل والسعة، يقول الغزالي – رحمه الله – عن تجربته في هذا: « فحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقتهم بالتعلم والسماع، فظهر لي أن أخص خواصهم، لا يمكن الوصول إليه بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات »[7]، فالعلم الكسبي عند المتصوفة غير كافٍ لمعرفة الحقائق وإدراك أسرار الموجودات، بل لا يكون ذلك إلا بعلم الباطن، الذي يتحقق بالذوق، والسلوك، وهو روح العلوم وجوهر المعارف. [8]

---

(1) الرسالة اللدنية للإمام الغزالي طبعت مع رسالة كنه مالا بد للمريد منه لابن عربي مطبعة كردستان العراق ط1328هـ ص 37

(2)هو محمد بن محمد الجنيد النهاوندي شيخ الصوفية، أتقن العلم ثم أقبل على شأنه وتعبد ونطق بالحكمة وشاهد الصالحين ورزق الذكاء وصواب الجواب، ولم ير في زمانه مثله في عفة وعزوف عن الدنيا، توفي سنة 297هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، ج4، ص66، ترجمة رقم 34

(3) سري بن المغلس السقطي أبو الحسن من كبار المتصوفة أول من تكلم في بغداد بلسان التوحيد وأحوال الصوفية وكان إمام البغداديين وشيخهم في وقته وهو خال الجنيد وأستاذه توفي سنة 253 هـ .الأعلام لخير الدين الزركلي دار العلم للملايين ط15، مايو 2002م ج3 ص 82

(4) أبو عبد الله الحارث بن أسد عديم النظر في زمانه علما وورعا ومعاملة وحالا بصري الأصل ، كان رحمه الله إذ مد يده إلى طعم فيه شبهة تحرك على إصبعه عرق فكان يمتنع منه من أقوله : من صحح باطنه بالمراقبة والإخلاص زين الله ظاهره بالمجاهدة واتباع السنة.

الرسالة القشيرية عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ) تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف ، دار المعارف، القاهرة ج1 ص 51 .

(5) الإحياء ج1 ص 23

(6) طبقات الصوفية محمد بن الحسين السلمي تحقيق مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية بيروت ط1، 1419 هـ/1998م ج1 ص 130.

(7) المنقذ من الضلال تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود دار الكتب الحديثة مصر ص 172 .

(8) انظر الإلهام في الكتابات الصوفية روافد وتجليات وإشكالات خالد التوزاني بحث بمجلة يتفكرون العدد5 خريف 2015 م .

وذلك لأن العلم المكتسب لا ترتفع معه الحجب ولا تنكشف به الأغطية بل هو نفسه حجاب،« ولا يسمى الشخص إلهياً إلا أن لا يكون أخذه العلوم إلا عن الله من فتوح المكاشفة بالحق» [1] « فلم يفارق الإلهام الاكتساب في نفس العلم ولا في محله ولا في سببه، ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب، فإن ذلك ليس باختيار العبد »[2]، « ولا حجاب بين الله وعبده أعظم من نظره إلى نفسه وأخذه العلم عن فكره ونظره »[3]، فالإلهام كالوحي ينكشف معه سر الملكوت، وتتلألأ الحقائق، وإنما فارقه في مشاهدة الملك: « ولم يفارق الوحي والإلهام في شيء من ذلك – إشارة إلى نفس العلم ومحله وسببه –، بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم »[4].

هذه العناية بعلم الباطن الذي هو علم الحقائق جعل الصوفية يصرفون اهتمامهم إلى عالم الغيب وينشغلون بالمغيبات من رؤى وإلهام وكشف وما في حكمها؛ لأنها كما تقدم طرق المعرفة الحقيقية والعلم اليقيني، بينما انشغل غيرهم ممن يقول بالإلهام لكنه لا يعتمد عليه سبيلاً إلى العلم اعتماد أرباب السلوك، بل يترك أمره للمقادير والفتوح انشغل فيما يخص معرفة الأحكام الشرعية بصرف جهده نحو الاعتناء بعالم الشهادة، من نظر في الأدلة وفقاً لمنهج الفقهاء وطريقتهم في اكتساب العلم بالنظر والتأمل ، وفيما ما هو كوني من أمور الدنيا والدين بالأخذ بالأسباب، مع تفويض إلى ربها ومسببها، فإن وقع إلهام بعد ذلك دون إلحاح أو استعجال أخذوا به ما لم يخالف ظاهرا، أو يعارض نصّاً، فالإلهام عندهم مؤنس لا مؤسس، يؤخذ به إذا تشابه دليل أو تعارض، فعزّ جمع، وعسر ترجيح.

وفي هذا البحث نحاول أن نعرض في مباحث أربعة لمذهب أرباب السلوك فيما يخص معنى الإلهام وما ينشأ عنه من علم وطريقة حصوله عندهم ومنهجهم في التعامل معه، غير مدعين إحاطة أو إيغالاً، ولا استقصاء أو استفصالاً، فمحل ذلك ليس هاهنا، إذ الغاية ممّا هنا الإشارة إلى مذهب القوم ومحاولة بيانه بإيجاز ما أمكن، وإن لم يخل من بعض تفصيل وشيء من محاجّة.

❁❁❁

المبحث الأول : معنى الإلهام عند أرباب السلوك:

يعرف القشيري[5] – رحمه الله – الإلهام بقوله: « خطاب يرد على الضمائر من قبل الملك، وسمي الخطاب الوارد عليها من قبل الله تعالى وإلقائه بخاطر الحق »[6] وقال: « فإذا كان من قبل الملك فإنما يعلم صدقه بموافقة العلم، ولهذا قالوا: كل خاطر لا يشهد له ظاهر فهو باطل ».[7]

ويعرفه عبد القادر الجيلاني[1] بتعريف لا يكاد يختلف عما هو عند القشيري في شيء ، ولعله نقله عنه فيقول: «الإلهام هو خطاب يرد على الضمائر من قبل الملك وعلامته أنه يرد بموافقة العلم، وكل إلهام لا يشهد له ظاهر فهو باطل ».[2]

---

(1) الفتوحات المكية لمحيي الدين ابن عربي ج5 ص 206، 207

(2) الإحياء ج3 ص 19

(3) الفتوحات ج5 ص 207

(4) الإحياء ج 3 ص 19

(5) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، أبو القاسم، زين الإسلام: شيخ خراسان في عصره، زهدا وعلما بالدين. كانت إقامته بنيسابور وتوفي فيها سنة 465 هـ. من كتبه " التيسير في التفسير – خ " ويقال له " التفسير الكبير و " لطائف الإشارات – ط " ثلاثة أجزاء منه، في التفسير أيضا، و " الرسالة القشيرية – ط " الأعلام ج4 ص 57.

(6) الرسالة القشيرية ج1 ، ص 197 .

(7) السابق نفسها .

والإلهام عند الشعراني[3] « ما يكون من معنى يجده الموحى إليه في نفسه من غير تعلق حس ولا خيال بمن نزل»[4]، أما عند الشيخ عماد الدين الأموي[5] فالإلهام هو: « الخواطر إن كانت تدعو إلى الخير »[6]، ويشرح الغزالي – رحمه الله – المراد بالخواطر عند الصوفية منطلقاً من ذلك إلى بيان معنى الإلهام فيقول: « وأعني بالخواطر ما يحصل فيه – أي القلب – من الأفكار والأذكار، وأعني به إدراكاته علوماً إما على سبيل التجدد أو على سبيل التذكر »[7] ثم يقول: « والخواطر المحركة للرغبة تنقسم إلى ما يدعو إلى الشر أعني ما يضر في العاقبة، وإلى ما يدعو إلى الخير أعني ما ينفع في الدار الآخرة، فهما خاطران مختلفان فافتقرا إلى اسمين مختلفين، فالخاطر المحمود يسمى إلهاماً والخاطر المذموم أعني الداعي إلى الشر يسمى وسواساً »[8] ثم يقول: « سبب الخاطر الداعي إلى الخير يسمى ملكاً، وسبب الخاطر الداعي إلى الشر يسمى شيطاناً، واللطف الذي يتهيأ به القلب لقبول إلهام الخير يسمى توفيقاً، والذي يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى إغواءً وخذلاناً » ثم يقول مفرقاً بين الملك والشيطان: « والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه إفاضة الخير، وإفادة العلم، وكشف الحق والوعد بالخير، والأمر بالمعروف وقد خلقه الله وسخره لذلك، والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك، وهو الوعد بالشر والأمر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر».[9]

والذي يدل عليه ما تقدم من كلامه أن الإلهام عنده هو: « الأفكار والأذكار الحاصلة في القلب، الداعية إلى الخير، المفيدة العلم وكشف الحق بواسطة الملك »، وفي هذا من الضوابط:

1- أن الحاصل في القلب أفكار وأذكار، فهو إما منشئٌ علماً جديداً، وإمّا مُذكِّر بما غفل عنه منه [10].

2- أن الحاصل لا يكون إلا داعياً للخير، فإن كان غير ذلك فليس إلهاماً.

3- أن الحاصل من أفكار وأذكار مفيد علماً ضرورياً، مورث يقيناً، لا مجرد الظن، وبه تنكشف الحقائق انكشافاً تاماً، حتى لا يبقى معه التباس، فكأنه يشاهد ويعاين، كما يحصل بالحواس.

4- أن هذا الحاصل إنما يكون بواسطة الملك.

---

(1) عبد القادر بن موسى أبو محمد محيي الدين الجيلاني أو الكيلاني مؤسس الطريقة القادرية ، من كبار الزهاد والمتصوفين ولد في جيلان وراء طبرستان وانتقل إلى بغداد شابا فاتصل شيوخ العلم والتصوف وبرع في الوعظ وتفقه وسمع الحديث وقرا الأدب واشتر وتصدر للتدريس والإفتاء في بغداد له كتب منها : الفتح الرباني والغنية لطالب طريق الحق وفتوح الغيب . الأعلام ج4 ص 47

(2) بهجة الأسرار ومعدن الأنوار في مناقب الجيلاني تأليف علي يوسف الشطنوفي تحقيق جمال الدين الكيلاني ط2، المنظمة المغربية للثقافة والعلوم فاس

(3) عبد الوهاب بن أحمد الحنفي نسبه إلى محمد بن الحنفية من علماء المتصوفين له تصانيف منها : الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية، والجواهر والدرر، والكبريت الأحمر في علوم الشيخ الأكبر، ودرر الغواص فتاوى الشيخ علي الخواص، ولطائف المنن وغيرها، توفي سنة 973 هـ الأعلام ج4 ص 180.

(4) لطائف المنن والأخلاق تأليف أبي المواهب عبد الوهاب الشعراني وضع حواشيه سالم مصطفى البدوي دار الكتب العلمية ص639

(5) الأسنوي محمد بن الحسن فاضل من الشافعية، ولد بمصر واستوطن حماة مدة، له كتب منها : حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب ، في التصوف ، والمعتبر في علم النظر في الجدل وشرحه ، وشرح المنهاج للبيضاوي توفي 764هـ الأعلام ج1 ص 78

(6)حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب هامش قوت القلوب في معاملة المحبوب ج 2ص285.

(7) الإحياء ج 3 ص 26

(8) السابق ج3 ص 27

(9) السابق الصفحة نفسها .

(10) يرى الغزالي أن العلوم مركوزة فينا، إنما شغلتنا عنها الدنيا، فإذا تخلصنا من الشواغل تذكرناها، فالعلوم ما فنيت وإنما نسيت فإذا صح المرء من مرض الدنيا زال النسيان ورجعت النفس إلى معلوماتها فتذكرت، ينظر: الرسالة اللدنية، ص24، 32، 35.

غير أن ما قرره – رحمه الله – هنا من أن الإلهام ملائكي سبق وخالفه فيما مضى من الإحياء، إذ يقول مفرقاً بين الإلهام والتعلم: «اعلم أن العلوم التي ليست ضرورية وإنما تحصل في القلب في بعض الأحوال تختلف الحال في حصولها، فتارة تهجم على القلب كأنه ألقي فيه من حيث لا يدري، وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم، فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى إلهاماً، والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتباراً واستبصاراً، ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم إلى ما لا يدري العبد أنه كيف حصل له، ومن أين حصل، وإلى ما يطلع معه على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم، وهو مشاهدة الملك الملقي في القلب، والأول يسمى إلهاماً ونفثاً في الروع، والثاني يسمى وحياً وتختص به الأنبياء، والأول يختص به الأولياء والأصفياء، واستدلال يختص به العلماء »[1].

ومن الملاحظ على ما تقدم أن الغزالي – رحمه الله – يجعل الإلهام إلهامين، عام وخاص، فكل ما يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل هو إلهام بالمعنى العام، ثم هذا نفسه والذي يسميه الغزالي إلهاماً منقسم إلى قسمين: ما يرد بمعرفة وهو الوحي، وما يرد بلا أين ولا كيف وهو الإلهام، وهذا الإلهام بالمعنى الخاص غير الإلهام الأول "بالمعنى العام"، بل هو أخص منه، إذ هو قسم من قسميه، وهذا القسم يجعله الإمام – رحمه الله – خاصّاً بالأولياء والأصفياء، أما ما يقع للأنبياء فهو كالوحي الذي يحصل بمشاهدة الملك، وهو هنا يصرح بلفظ المشاهدة الذي هو أخص من التعبير بـ"الواسطة"، كما يلاحظ في كلامه جعله الإلهام والنفث في الروع شيئاً واحداً، أو هما في منزلة واحدة، وجعلهما من خصائص الأولياء، وذلك خلاف المقرر الثابت بالأدلة من أن الإلهام كما يقع للولي يقع للنبي، بل هو في الأنبياء وأظهر وأقوى؛ لأن إلهامهم حجة بلا ريب، بخلاف إلهام الأولياء، كما هو مخالف لما ثبت بالنص من أن نفث الروع يكون للأنبياء، ولعل السبب في قصره – رحمه الله – الإلهام على ما يقع للولي دون النبي أحد أمرين:

الأول: أنه لما كان الغالب في أمر النبي الوحي، الذي هو من خصائصه، نسب إليه دون الإلهام، ولما كان ما يقع للولي لا يكون إلا إلهاماً – إذ لا وحي بدون نبوة – جعله من خصائصه، وإن شاركه فيه النبي.

الثاني: اعتباره كل ما يقع للنبي داخلاً في مسمى الوحي، فإلهام الأنبياء من الوحي إليهم كذلك، لذا لم يحتج إلى تمييزه باسم خاص، لشموله باسم الوحي، أما ما يقع للأولياء فلما كان بلا ريب إلهاماً لا وحياً جعله وكأنه خاص بهم، على قاعدة "إذا اجتمعا افترقا"، فإذا اجتمع الوحي والإلهام فالوحي من خصائص النبوة، والإلهام من خصائص الولاية، كما سبق بيانه عند التفريق بين الوحي والإلهام[2].

غير أن هذا يُشغّب عليه ضبطه الوحي بما يكون معه مشاهدة الملك، وليس كل وحي معه مشاهدة، فالكلام من وراء حجاب كما وقع لموسى عليه السلام، ووقع لنبينا – صلوات ربنا عليه – ليلة أسري به، والنفث في الروع كلاهما وحي، وليس معهما مشاهدة ملك، فلم يبق إلا إرادته الوحي المقصود بقوله: (أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ)[3]، وهذا لا يدخل فيه الإلهام، فقصر الإلهام بعده على الأولياء لا يخلو من ارتباك. [4]

---

(1) الإحياء ج3 ص 18

(2) انظر الإلهام معناه وحجيته للباحث منشور بمجلة كلية الشريعة الأسمرية .

(3) سورة الشورى، من الآية: 51.

(4) يتفق المتصوفة على أن رؤية الملك من خصائص وحي النبوة ، فلا تجتمع الرؤية والإلقاء إلا لنبي ، أما الولي فمع أنه يشهد الملائكة فإنه لا يشهدها ملقية عليه ، يقول ابن عربي :(قلا يجمع بين رؤية الملك والإلقاء منه إليه إلا نبي أو رسول) الفتوحات ج4 ص 297 ، لكنهم مع اتفاقهم على هذا مختلفون في تنزل الملك على الولي دون مشاهدة طبعا ، فنفاه الغزالي وقال إن الولي يلهم ولا ينزل عليه قط ، وأثبته ابن عربي وغلط الغزالي فيه ،

ومما يلاحظ كذلك في كلام الغزالي المتقدم وصفه الإلهام بكونه ما لا يدري العبد كيف حصل له، ومن أين حصل، وهو ما يمكن الاعتراض عليه بأن العبد يعلم عن الإلهام أنه من الله، أو من الملك –كما هو مصرح به عند الغزالي نفسه – ولو لم يكن يعلم ما أمكن حصول العلم بالإلهام؛ إذ كيف يجزم بموجبه وهو لا يعلم من أين حصل له ؟!

وجواب هذا أسهل من إيراده، إذ المقصود بعدم علمه بكيف حصل ومن أين عدمُ العلمِ من حيث كيفية وروده لا من جهة مصدره، (عدم العلم بالكيفية لا بالجهة) ، فمع علمه يقيناً أنه حاصل من الله تعالى أو من الملك، لا يعلم كيف هجم على قلبه ولا لماذا، وهذا القدر ثابت عندهم لا نزاع فيه «واردات ترد على القلوب فتعجز النفوس عن تكذيبها»[1]، «فإن مكالمات الحق تعالى لعباده واختياراته مقبولة بالخاصية لا يمكن لمخلوق دفعها أبداً »[2]، لكن الغزالي الذي يقر في الإحياء بأن الإلهام بلا أين ولا كيف، هو نفسه غزالي المستصفى الذي يورد تعريف بعض الحنفية للاستحسان بأنه: « دليل ينقدح في نفس المجتهد فيعجز عن التعبير عنه »، فيعلق عليه بقوله: « وهذا هوس؛ لأن ما لا يقدر على التعبير عنه لا يدري أنه وهم وخيال أو تحقيق »[3]، فما الفرق في هذا بين الإلهام والاستحسان حتى يقبل وارد يرد على القلب دون علم لِمَ وكيف، ويرد آخر ينقدح في النفس تعجز معه عن ما وكيف؟! وقد جعل مانعو القول بالإلهام ما ذكره – رحمه الله – في الاستحسان من حججهم في رده!!

ومما يلاحظ كذلك في كلام الغزالي المتقدم الذي يقرر فيه أن الإلهام لا يعلم من أين ولا كيف مخالفته في الظاهر، ما يقرره هو نفسه من أن الإلهام إنما يحصل بسبب الملك: « فسبب الخاطر الداعي إلى الخير يسمى ملكًا»[4] وجواب هذا أن المقصود بحصوله من الملك حصوله بسببه دون معاينة صاحب الإلهام له أو مشاهدته إياه، بخلاف الوحي الذي يظهر فيه الملك للنبي، فيعلم النبي يقيناً أن الذي يحدّثه ملك، فلا يحتاج معه إلى دليل غيره، أما الإلهام فلأن صاحبه لا يعلم عين يقين أن من ألقاه إليه ملك، إذ هو لا يظهر له ظهور معاينة، وإنما يقذف في القلب خاطراً يهجم عليه احتاج لعدم المشاهدة إلى عرض على الكتاب والسنة ليتبيّنه، أخاطر حق هو فيحكم بأنه من الملك، أم خاطر باطل فيحكم بأنه من وسواس الخناس، وهذا مع صحته في الجملة لا تعدم للغزالي نفسه قولاً يعارضه فيما يتعلق بعرض الإلهام على غيره مما هو مقدم عليه من الأدلة[5].

وعلى كل فالقدر الثابت الذي لا ريب فيه أن الغزالي ومعه أغلب المتصوفة يرون وقوع الإلهام وَأنّه يحصل به العلم بطريق غير طريق الاكتساب، وهو عندهم زينة الأولياء والأصفياء، في مقابل الوحي الذي هو حلية الأنبياء، وهذا الذي قرره الغزالي – رحمه

وجعل الفرق بين نزول الملك على النبي ونزوله على الولي في كيفية ما ينزل به لا في نزوله ، فإنه لا ينزل على الولي إلا بالاتباع لنبيه وبإفهام ما جاء به بما لم يتحقق له علمه، أو ببشرى ، وأرجع ابن عربي غلط الغزالي في نفيه إلى ما سماه عدم الذوق ، فإنه–الغزالي– والقائلين بقوله لما لم يروا ملك الإلهام نزل عليهم أنكروه وقالوا ذلك خاص بالأنبياء ،فذوقهم صحيح وحكمهم باطل ، (وقد نزل عليّ ملك الإلهام بما لا يحصى من العلوم ، وأخبرنا بذلك جماعات كثيرة ممن كان لا يقول بقولنا فرجعوا إلينا) .الفتوحات الباب 364

(1) تروى هذه العبارة عن الشيخ أحمد الحيوقي المعروف بالكيري أحمد بن عمر الصوفي أبو الجناب محدث مات شهيدا في حرب التتار سنة 618 هـ انظر درء تعاقل العقل والنقل لابن تيمية تحقيق محمد رشاد نشر جامعة محمد بن سعود ط2،1411هـ /1991 م ج7 ص 431 .

(2) الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل لعبد الكريم الجيلي تحقيق صالح بن محمد بن عوض بيروت دار الكتب العلمية ط1،1991م ص 12.

(3) المستصفى من علم الأصول للغزالي تحقيق محمد بن سليمان الأشقر مؤسسة الرسالة بيروت ط1،1417هـ / 1997 م .

(4) الإحياء ج3 ص 27 .

(5) كذلك يعارضه أن العلم الحاصل بالإلهام عندهم علم يقين لا مجرد ظن تحتاج معه إلى نظر وتثبت.

الله – من انقسام العلم إلى علم بطريق الاكتساب وعلم بالإلهام يقرره أبو الحسين الآمدي[1] كذلك فيقول: « إنا لا نسلم أنه لا طريق إلى معرفة الله إلا النظر والاستدلال، بل أمكن حصولها بطريق آخر، إما بأن يخلق الله تعالى العلم للمكلف بذلك من غير واسطة، وإما بأن يخبره به من لا يشك في صدقه كالمؤيد بالمعجزات الصادقة، وإما بطريق السلوك والرياضة وتصفية النفس وتكميل جوهرها، حتى تصير متصلة بالعوالم العلوية »[2]، ويلاحظ هنا أن الآمدي – رحمه الله – كشأن كثير من المتصوفة يُعلي من شأن الإلهام فيجعله طريقاً إلى معرفة الله – جل وعلا – لا طريقاً لمعرفة الأحكام الشرعية العملية فقط، أو للترجيح بينها إذا التبس عليه، كما يلاحظ أنه يفرق بين الإلهام وبين ما يسميه الصوفية "الرياضة إذ الإلهام هو ما يخلقه الله تعالى من علم للمكلف من غير واسطة، وهو هنا لا يسميه صراحة لكن يدلك عليه أن الإلهام وارد يرد بلا كيف ولا أين كما قال الغزالي، فهو أمر قلبي يُخلق في نفس العبد فيورث العلم، وهذا عين ما ذكره الآمدي في النوع الأول من طرق معرفة الله، فهو منحة خالصة وهبة محضة.

أما الرياضة فمجاهدة[3] وتصفية وتزكية وتكميل جوهر كما سماها الآمدي، ومن أثر هذا الاتصالُ بالعوالم العلوية وقد يُدل عليه بقوله : « وما زال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه »[4] فجعل المحبة عاقبة التقرب والتودد بالنوافل، وجعله طريقاً إليها.

وعليه فالإلهام كما المحبة إما أن يحصل كالنبوة، بلا سابق مجاهدة ولا رياضة، ويدل عليه قوله في شأن موسى عليه السلام: (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي)[5] فهذه المحبة لم تكن لسابق رياضة أو مجاهدة، إذا ألقيت عليه وهو في التابوت أو قبله، كما يشير إليه سياق الآيات، وهذا « إلهام الجود ».

وإما أن يحصل بالسلوك والتزكية كالمحبة الواردة في حديث « ولا يزال عبدي... » التي هي نتيجة الرياضة والمجاهدة، وهذا « إلهام المجهود »!!

بقي أمران وجب الإشارة إليهما:

أولهما: تنبيه بعض من عرف الإلهام من المتصوفة إلى أنه إنما يُظهر المخفي ولا يبتدع أو يخترع، فإلهام الأولياء والعارفين إنما هو فهم يعطى في القرآن لرجال الله كما ثبت من حديث علي، وفيض من العلم يلهمه لمن أطاعه فأحبه فألهمه وجعل له نوراً : « وجميع ما نتكلم فيه في مجالسي وتصانيفي إنما هو من حضرة القرآن وخزائنه أعطيت مفتاح الفهم فيه والإمداد منه ».[6]

« إنما هو فهم أعطيته، ومدد من رسولي اختصصت به، وفيض من ربي أكرمني بأنواره »[7].

يقول الشيخ أحمد السرهندي[1]: « الإلهام مظهر للكمالات الخفية من الدين، لا مثبت للكمالات الزائدة في الدين، كما أن الاجتهاد مظهر للأحكام »[2]، وظاهر هنا أن الشيخ لم يعتن ببيان معنى الإلهام، وإنما كان اعتناؤه برد تهمة أن الإلهام ابتداع في

---

(1) علي بن محمد بن سالم التغلبي، أبو الحسن، سيف الدين الآمدي الشافعي، صاحب «الإحكام في أصول الأحكام» و «منتهى السول» توفي سنة 631 هـ. انظر ترجمته في: شذرات الذهب ج7 ص 273 والأعلام ج4 ص332 .

(2) أبكار الأفكار في أصول الدين، علي بن محمد بن سالم التغلبي، أبو الحسن، سيف الدين الآمدي (المتوفى: 631هـ)، تحقيق: أ. د. أحمد محمد المهدي، دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة، ط: 2، 1424 هـ - 2004م، ج1 ص 158-159.

(3) الرياضة عند القوم تهذيب الأخلاق النفسية بحملها على احتمال الأذى في العرض والخارج عن بدنه مما لا حركة فيه بدنية ، أما المجاهدة فحمل النفس على المشاق البدنية المؤثرة في المزاج وهنا وضعفا . الفتوحات المكية ج3 ص 219 .

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، حديث رقم: (6502).

(5) سورة طه، من الآية: 39.

(6) الفتوحات المكية ج6 ص 61.

(7) محيي الدين بن عربي طه عبد الباقي سرور مؤسسة هنداوي 2015 ص 71 .

الدين الذي اكتمل، فبين أن الإلهام كاشف لا منشئ ، شأنه شأن الاجتهاد، وهذا المعنى الذي ذكره السرهندي تجده عند غيره من أرباب السلوك كقول الجيلاني: «يرد بموافقة العلم، وكل إلهام لا يشهد له ظاهر فهو باطل»، وهو نفسه قول القشيري قبله، وهو عينه ما صرّح به الشيخ عليّ الخواص[3] لما عرف الإلهام بأنه : «وحي المبشرات وحقيقته أنه خبر إلهي على يد ملك مغيب عن ذلك الملهَم، فما انقطع بعد النبي إلا وحي التشريع فقط، أما التعْريفُ بأمور مجملة في الكتاب أو السنة فهو باق لهذه الأمة »[4] فالإلهام إذن شرح وتعريف وبيان لمجملات، فهو كالاجتهاد تماماً، وإن اختلف عنه في طبيعته وأدواته.

الثاني: طبيعة العلم الناتج عن الإلهام والذي يسميه الصوفية « العلم اللدني » المقابل للعلم الكسبي «علمَ الورَق » فما مقصدهم به، وما سر توجيه عنايتهم إليه، ثم ما الفرق بين علم الخَرق هذا وعلم الورَق؟!

❁❁❁

المبحث الثاني : العلم اللدني:

يجعل المتصوفة علم الباطن غاية العلوم كما تقدم، وهو عندهم علم مكاشفة يرتفع معه الغطاء حتى تتضح جلية الحق، وهذه منزلة ما سمّاه القرآن «عين اليقين»، فعلم الباطن عند الصوفية علم معاينة لا يُشك فيه، وأرباب السلوك يسمون هذا الذي تكون به المكاشفة والمعاينة ويقع به اليقين «العلم اللدني» نسبة إلى قوله تعالى في شأن الخضر عليه السلام (وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً)[5] فهو علم من لدنه تعالى، فإن قيل: كلُّ علم هو من لدنه، فجوابه: هذا من لدنه بلا وسائط معهودة، وطرق معلومة، بل هو نور يظهر في القلب فتحصل به المعرفة، ولهذا يسميه الصوفية إضافة إلى ما تقدم من كونه علماً لدنياً « علم الخَرق » لأنه تخرق به الحجب، وتنكشف الأغطية،[6] وهذا في مقابل علم الورَق، الذي تكتسب به المعارف من مدارسة القراطيس، والأخذ عن الرجال، وهو كذلك « علم قلبي » منزله ومسكنه القلب لا العقل[7]، إذ هو نور يلقى في القلوب فتتفجر بها ينابيع المعارف، فالعلم اللدني القلبي عندهم: «علم يفهمه أرباب القرب بالتعليم الإلهي، لا بالدلائل العقلية و والشواهد النقلية».[8]

---

(1) أحمد الفاروقي بن عبد الواحد نسبه إلى لفاروق من أئمة القرن العاشر الهجي ولد في سرهند بالهند سنة 971هـ وتوفي سنة 1034هـ كانت له جهود في نشر السنة ، وفي توجيه الدولة إلى الإسلام ، واعتبر مجدد الألف وقد خصص الإمام الندوي له الجزء الثالث من كتابه (رجال الفكر والدعوة في الإسلام) .

(2) الدرر المكنونات النفيسة في تقريب المكتوبات الشريفة لأحمد بن عبد الأحد السرهندي تعريب محمد مراد الفراني مكتبة النيل القاهرة مجلد 2 ص 140 .

(3) علي البرنسي الخواص أحد العارفين بالله تعالى وأستاذ الشعراني ، كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، ومع ذلك كان يتكلم على الكتاب والسنة وأحوال القوم ومقاماتهم بكلام نفيس عال ، وقد استوفى الشيخ الشعراني أحواله في طبقاته ، كان له كلام عال يذعن له جماعة من أجلاء علماء مصر توفي في 939 هـ موسوعة التراجم والأعلام دار الكتب العلمية بيروت ط1، 1977 ج2 ص 218 .

(4) الجواهر والدرر للشعراني ص 155 .

(5) سورة الكهف، من الآية: 65.

(6) أو هو علم الخِرق جمع خرقة أي العلم الناشئ عن رياضة ومجاهدة .

(7) انظر عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصوفية ليوسف زيدان مصر الهيئة المصرية العامة للكتاب ط1، 1988م ص 21 وقارن بالإلهام في الكتابات الصوفية روافد وتجليات وإشكالات لخالد التوزاني مجلة يتفكرون العدد 5 خريف 2015 م .

(8) الرحلة العياشية للبقاع الحجازية المسمى ماء الموائد للشيخ عبد الله بن محمد العياشي تحقيق أحمد فريد المزيدي ج1 ص 277 .

هذا الذي قدمنا إجمالاً نحاول تفصيله من خلال بيان ثلاثة من كبار أئمة المتصوفة هم الهروي[1] والغزالي وابن عربي، – رحمهم الله – لتقدم الأول زمانا وجلاله قدرا وكون كتابه (منازل السائرين) من أهم كتب الصوفية، ولكون الثاني من الذين جمعوا بين التجربة والمعرفة ، فكانت معرفته نتاج تجربة روحية عاشها الرجل فكابد وعاني حتى كشفت له أسرار الحقيقة، ورأى بواطن الأمور بوجدانه لا بعقله، ولأنه جاء زمنيا في مرحلة وسطى بين متصوفة متقدمين ومتصوفة متأخرين فأخذ ممن قبله وترك لمن بعده، أما الشيخ ابن عربي فنعرض لبيانه المقصود بالعلم اللدني لمكانته عند القوم فهو« الشيخ الأكبر» ولتأخره عن سابقيه، ثم هو مالئ الدنى شاغل الورى، بين فريقين بينهما فيه ما صنع الحداد ومالم يصنع !!

1– العلم اللدني عند الهروي، المتوفى سنة 481هـ:

يجعل الإمام الهروي – رحمه الله – العلم على درجات ثلاث، الأولى منها علم جلي يقع بعيان أو استفاضة صحيحة أو صحة تجربة قديمة، والثانية علم خفي يثبت في الأسرار الطاهرة من الأبدان الزاكية بماء الرياضة الخالصة، ويظهر في الأنفاس الصادقة لأهل الهمة العالية في الأحايين الخالية ... يُظهر الغائب ويُغيب الشاهد ويشير إلى الجميع.

أما الدرجة الثالثة من درجات العلم عنده فهي « العلم اللدني » ذلك الذي: « إسناده وجوده، وإدراكه عيانه، ونعته حكمه، وليس بينه وبين الغيب حجاب ».

ويشرح هذا ابن القيم[2] – رحمه الله – بأن قصد الهروي بالدرجة الأولى العلم الظاهر الذي لا خفاء فيه، وهو ما وقع عن بصر "بعيان" ، أو استند إلى سمع « استفاضة صحيحة »، أو استند إلى عقل، وهو علم التجربة « صحة تجربة قديمة ». [3]

أما قوله في الدرجة الثانية : علم خفي فيعزوه ابن القيم إلى خفائه عن أهل الدرجة الأولى (أصحاب العلم الظاهر)، وهو المسمّى بالمعرفة عند الصوفية.

والسر في قوله : عند (الأسرار الطاهرة) « إمّا أن يراد به الروح تلك « اللطيفة المودعة في هذا القالب التي جعل بها الإدراك والمحبة والإرادة والعلم »

أو يراد به معنىً قائماً بها، نسبته إليها كنسبة الروح إلى البدن، أو يراد به ما هو مكتوم بين العبد وبين ربه من الأحوال والمقامات » .

وكون الأسرار طاهرة فمن كدر الدنيا والاشتغال بها، وعلاقتها التي تعوق الأرواح عن ديار الأفراح، فإن هذه أكدار وتنفسات في وجه مرآة القلب والروح فلا يتجلى فيها صور الحقائق كما ينبغي ... فإذا جليت المرآة بإذهاب هذه الأكدار صفت وظهرت فيها الحقائق والمعارف.

والأبدان الزاكية هي التي زكت بطاعة الله وبنيت على أكل الحلال، أما الرياضة الخالصة كما يراها ابن القيم فهي التي لا تخرج عن علم ولا تبعد عن واجب ولا تعطل سنة.

والأنفاس الصادقة أنفاس الذكر والمعرفة وأنفاس المحبة والإرادة ، وصدقها خلوصها من شوائب الأغيار والحظوظ، وذلك إنما يكون في ساعات الصفاء مع الله تعالى، وأوقات النفحات الإلهية.

وثمرة العلم في هذه الدرجة كشف ما كان غائباً عن العارف، وتغييبه عن شهود ما سوى مشهوده الحق ، فتضمحل الرسوم بما فيها رسم الشاهد نفسه[4].

أما الدرجة الثالثة من درجات العلم فهي « العلم اللدني » وصفته عند الهروي – رحمه الله – ما كان: «إسناده وجوده، وإدراكه عيانه، ونعته حكمه، ليس بينه وبين الغيب حجاب ».

---

(1) أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري من كبار الحنابلة، كان بارعاً في اللغة والحديث والأنساب والتاريخ، من مؤلفاته الفاروق في الصفات ومنازل السائرين، توفي سنة 481هـ، ترجم له ابن يعلى في طبقات الحنابلة، ج2، ص247.

(2) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ولد وتوفي بدمشق، تتلمذ على ابن تيمية وانتصر له وهذب كتبه ونشر علمه وسجن معه في قلعة دمشق وأطلق بعد موت شيخه، له تصانيف كثيرة أشهرها إعلام الموقعين ومدار السالكين، توفي سنة 751هـ، انظر ترجمته في الأعلام، ج6، ص56.

(3) مدارج السالكين، بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم شرح منازل السائرين للهروي تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي دار الكتاب العربي بيروت ط3، 1416 هـ / 1996 م ، ج2 ص 442 .

(4) مدارج السالكين ج2 ص 445

ويشرح هذا ابن القيم – رحمه الله –: « بأنه ما يحصل للعبد من غير واسطة؛ بل بإلهام من الله وتعريف منه لعبده، كما حصل للخضر عليه السلام بغير واسطة موسى » وسمي لدنياً لأن اللدنية أخص وأقرب من العندية، لذا قال: (وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً). (1)

ولا سبيل إلى هذا العلم إلا وجدانه: « إسناده وجوده » فطريقُهُ وجدانُه، كما أن طريق غيره هو الإسناد، أما إدراكه فعيانه، فهو لا يؤخذ بالفكر ولا بالاستنباط بل بالمعاينة والمشاهدة، أما نعته فحكمه، إذ لا يوصل إلى نعوته إلا به، فهي قاصرة عنه. « فشاهده منه ودليله وجوده، وإنيته لميته فبرهان الإن هو برهان اللم، فهو الدليل وهو المدلول،(2) ولذلك لم يكن بينه وبين الغيوب حجاب، بخلاف ما دونه من العلوم فإن بينه وبين الغيوب حجاباً»(3).

يقول ابن القيم معقباً بعد شرح كلام الهروي – رحمهما الله –: « والذي يشير إليه القوم هو نور من جناب المشهود يمحو قوى الحواس وأحكامها ويقوم لصاحبها مقامها، فهو المشهود بنوره، ويفنى ما سواه بظهوره، وهذا عندهم معنى الأثر الإلهي، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ... ».(4)

وعند حديثه عن(إنّ الوجود) الذي يعرفه الهروي بأنه: الظفر بحقيقة الشيء ، يجعل من معانيه وجود علم لدني يقطع علوم الشواهد في صحة مكاشفة الحق إياك.

ويشرح هذا ابن القيم موضحاً معنى العلم اللدني بمزيد من البيان: « والعلم اللدني – عندهم – هو المعرفة، وسمّي لدنياً لأنه تعريف من تعريفات الحق، وارد على قلب العبد، يقطع الوساوس ويزيل الشكوك، ويحل محل العيان، فيصير لصاحبه كالوجدانيات التي لا يمكن دفعها عن النفس، ولذلك قال: يقطع علوم الشواهد، فعلوم الشواهد عنده علوم الاستدلال، وهي تنقطع بوجدان

---

(1) سورة الإسراء، من الآية: 80.

(2) (اللمّية) بتشديد الميم والياء مصدر صناعي مشتق من (لم) ويطلب بلم تارة علة التصديق فقط ، وأخرى علة التصديق والوجود ، فمعنى لمية الشيء علّيته ، أما (الإنّية) بتشديد النون فمصدر صناعي كاللمية مأخوذة من كلمة (إن) المشبهة بالفعل التي تدل على الثبوت والوجود . فالبرهان عندهم (لميّ وإنّي وواسطة بين اللمي والإني) ، فاللمي : ماكان فيه الحد الأوسط واسطة في الإثبات والثبوت معا ، أي أن يكون علة لثبوت الأكبر في الأصغر ، كقولهم : هذه الحديدة ارتفعت حرارتها ، وكل حديدة ارتفعت حرارتها فهي متمددة ، فينتج هذه الحديدة متمددة ، . فالاستدلال بارتفاع الحرارة على التمدد استدلال بالعلة على المعلول، فكما أعطت الحرارة الحكم بوجود التمدد في الذهن للحديدة كذلك هي معطية في نفس الأمر والخارج وجود التمدد لها. =

= والإني : ماكان واسطة في الإثبات فقط ولم يكن واسطة في الثبوت ، وسمي هذا البرهان الإني لأنه يعطي الإنية ، والإنية مطلق الوجود ، والبرهان الإني: ماكان فيه الأوسط معلولا للأكبر في وجوده في الأصغر، لا علة، عكس " برهان لم " كما لو قيل في المثال المتقدم: " هذه الحديدة متمددة، وكل حديدة متمددة مرتفعة درجة حرارتها ". فالاستدلال بالتمدد على ارتفاع درجة الحرارة استدلال بالمعلول على العلة. فيقال فيه: إنه يستكشف بطريق الإن من وجود المعلول وجود العلة، فيكون العلم بوجود المعلول سببا للعلم بوجود العلة، فلذلك يكون المعلول واسطة في الإثبات، أي: علة للعلم بالعلة، وإن كان معلولا لها في الخارج. ويسمى هذا البرهان الإني " الدليل .

وأما الواسطة بين الإني واللمي فأن يكون الأوسط والأكبر معا معلولين لعلة واحدة، فيستكشف من وجود أحدهما وجود الآخر، فكل منهما إذا سبق العلم به يكون العلم به علة للعلم بالآخر، ولكن لا لأجل أن أحدهما علة للآخر، بل لكونهما متلازمين في الوجود، لاشتراكهما في علة واحدة إذا وجدت لابد أن يوجدا معا، فإذا علم بوجود أحدهما يعلم منه وجود علته، لاستحالة وجود المعلول بلا علة، وإذا علم بوجود العلة علم منها وجود المعلول الآخر، لاستحالة تخلف المعلول عن العلة، فيكون العلم – على هذا – بأحد المعلولين مستلزما للعلم بالآخر بواسطة ..... وهذا القسم فيه استكشافان واستدلالان: استدلال بالمعلول على العلة المشتركة، ثم استدلال بالعلة المشتركة على المعلول الآخر، كما تقدم. ففيه خاصة " البرهان الإني " في الاستدلال الأول وخاصة " البرهان اللمي " في الاستدلال الثاني، فلذا جعلوه واسطة بينهما لجمعه بين الطريقتين .المنطق للشيخ محمد رضا المظفر مؤسسة النشر الإسلامي ص 114 ، 362 ، 363 ، 364

والأقرب فيما قصده ابن القيم من قوله : (إنيته لميته) هو هذا القسم الثالث ، وقد نقلت كلام الشيخ المظفر على طوله للاستفادة ، والحق أني لم أكن أعلم معنى قول ابن القيم هذا حتى قرأت ما كتب الشيخ المظفر، فقلت لعل قارئا حاله كحالي فيستفيد كما استفدت، فنقلت النص على طوله ، ومن أراد المزيد فعليه بالكتاب .

(3) مدارج السالكين ج 2 ص 445 .

(4) السابق ج2 ص 447 والحديث أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (6502).

هذا العلم، أي يرتقي صاحبه عنها إلى ما هو أكمل منها، لا أنها يبطُل حكمُها، ويزول رسمُها، ولكن صاحب الوجود قد ارتقى عن العلم الحاصل بالشواهد إلى العلم المدرك بالذوق والحس الباطن»[1]، « وإنما قطع العلم اللدني المدرك بالذوق علوم الاستدلال لأن «الحق كشف لك كشفاً صحيحاً قطع عنك الحاجة إلى الشواهد والأدلة ».[2]

وأنت تلاحظ هنا أن ابن القيم – رحمه الله – جعل العلم اللدني داخلاً في مسمى المعرفة عندهم، بينما هو كما تقدم وكما شرحه ابن القيم نفسه في درجات العلم عند الهروي درجة أعلى من ذلك.

هذا الذي أجمله الهروي وأوجزه فصله بعده الغزالي – رحمهما الله – وإليك بعضُ ما عنده مما فصّل.

2- العلم اللدني عند الغزالي – رحمه الله –: (توفي سنة 520 هـ)

ألف الغزالي – رحمه الله – للرد على من أنكر العلم الغيبي اللدني رسالة سماها « الرسالة اللدنية » بين فيها مراتب العلوم مصححاً هذا العلم مثبتاً له، يقول – رحمه الله –: « اعلم أن واحداً من أصدقائي حكى عن بعض العلماء أنه أنكر العلم الغيبي اللدني الذي يعتمد عليه خواص المتصوفة، وينتمي إليه أهل الطريقة ويقولون إن العلم اللدني أقوى وأحكم من العلوم المكتسبة المحصلة بالتعلم، وحكى أن ذلك المدعي يقول بأني لا أقدر على تصور علم الصوفية، ولا أظن أن أحداً في العالم يتكلم في العلم الحقيقي من فكر وروية دون تعلم وكسب »[3] ثم يوضح سر الإنكار هذا بقوله: « وقد جرت العادة بأن الجاهل بالشيء ينكر ذلك الشيء، وذلك المدعي ما ذاق شراب الحقيقة، وما اطلع على العلم اللدني فكيف يقر بذلك، ولا أرضى بإقراره تقليداً أو تخميناً ما لم يعرف »[4]، ثم يشرع – رحمه الله – في البيان ليعرف ونعرف، ولأن البيان عسير جداً كما يرى الشيخ، فهو يكتفي بما يسميه المقدمات.

يبدأ الغزالي حديثه ببيان العلم والعالم والمعلوم والنفس والروح، ويقسم العلم إلى شرعي وعقلي موضحاً العلاقة بينهما، إلى أن يصل إلى الحديث عن تعداد العلوم وأصنافها معتمداً الاختصار والإيجاز، ثم ينتقل بعده إلى الحديث عن طريق تحصيل العلوم التي هي عنده طريقان:

الأولى: التعليم الإنساني ويصفه – رحمه الله – بأنه طريق معهود ومسلك محسوس يقرّ به جميع العقلاء .

الثانية: التعلم الرباني وهو على وجهين:

تعلم من خارج ويسميه التحصيل بالتعلم، وتعلم من داخل والمقصود به عنده الاشتغال بالتفكر المرتبط بالباطن والمنزل منه منزلة التعلم من الظاهر ، ثم يعمد رحمه الله إلى بيان ما يمكن تسميته (نظرية الغزالي في التعلم) إذ يرى أن التعلم إنما هو تذكر، يقول – رحمه الله –: « والعلوم مركوزة في أصل النفوس بالقوة كالبذر في الأرض، والجوهر في قعر البحر أو قلب المعدن، والتعلم هو طلب خروج ذلك الشيء من القوة إلى الفعل، والتعليم هو إخراجه من القوة إلى الفعل»[5] ثم يوضح أثر نور العقل في ذلك «وإذا غلب نور العقل على أوصاف الحس يستغني الطالب بقليل التفكير عن كثرة التعلم، فإن نفس العاقل تجد من الفوائد بتفكر ساعة ما لا تجد نفس الجامد بتعلم سنة».[6]

---

(1) المدارج ج3 ص 385 .

(2) السابق نفسها .

(3) الرسالة اللدنية ص 2،3 .

(4) السابق ص 4 .

(5) السابق ص 3

(6) الرسالة اللدنية، ص: 24.

« وإذا انفتح باب الفكر على النفس علمت كيفية طريق التفكر وكيفية الرجوع بالحدس إلى المطلوب فينشرح قلبه وتنفتح بصيرته، فيخرج ما في نفسه من القوة إلى الفعل من غير زيادة طلب وطول تعب ».[1]

هذا عن طريق التعلم الرباني، أما كيف يعلم الرب من يصطفي من عباده فهو عند الغزالي على وجهين: الأول الوحي، وهذا إذا كملت النفس فزال عنها دنس الطبيعة ودرن الحرص والأمل، وانفصلت على الدنيا وأقبلت على بارئها، « والله تعالى بحسن عنايته يقبل على تلك النفس إقبالاً كلياً، وينظر إليها نظراً إلهياً، ويتخذ منها لوحاً ومن النفس الكلي قلماً، وينقش فيها جميع علومه ...، فيحصل جميع العلوم لتلك النفس وينقش فيها جميع الصور من غير تعلم وتفكر »[2] وبهذا فعلم الأنبياء أشرف مرتبة من جميع علوم الخلائق لأنه من الله بلا واسطة ووسيلة، فهو أعلى منزلة حتى من علم الملائكة «فإنهم _أي الملائكة- تعلموا طول عمرهم ... حتى صاروا أعلم المخلوقات وأعرف الموجودات، وآدم عليه السلام ما كان عالماً لأنه ما تعلم وما رأى معلماً فتفاخرت الملائكة عليه»[3] « فرجع آدم عليه السلام إلى باب خالقه ... وأقبل بالاستعانة على الرب تعالى فعلمه جميع الأسماء، ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، فصغر حالهم عند آدم وقل علمهم، وأنكرت سفينة جبروتهم فغرقوا في بحر العجز، وقالوا لا علم لنا إلا ما علمتنا ».[4]

« فأنبأهم آدم عليه السلام عن مكنونات العلم ومستترات الأمر، فتقرر الأمر عند العقلاء أن العلم الغيبي المتولد عن الوحي أقوى وأكمل من العلوم المكتسبة، وصار علم الوحي إرثَ الأنبياء وحق الرسل ».[5]

«وإنما كان علمه –يقصد النبي صلى الله عليه وآله وسلم- أكمل وأشرف وأقوى لأنه حصل عن التعلم الرباني وما اشتغل قط بالتعلم والتعليم الإنساني، قال تعالى: (علمه شديد القوى) »[6].

لكن باب الوحي أغلق بعد أعلم الناس وأفصح العرب والعجم، صاحب العلم الأكمل والأشرف والأقوى، من لم يشتغل قط بتعلم ولا تعليم إنساني وإنما علمه ربه، فهل ينقطع المدد عن أهل الأرض بعد انقطاع الوحي، إذ في الوحي كفاية واغتناء؟!

يجيب الغزالي عن هذا بأنّ للتعليم الرباني وجهاً ثانياً باقياً مستمراً بعد انقطاع الوحي هو الإلهام الذي هو تنبيه من الله، وأثر الوحي، فإن الوحي تصريح الأمر الغيبي والإلهام تعريضه، وحاصل الإلهام علم لدني كما إن حاصل الوحي علم نبوي، والفرق بينهما أن الإلهام إشراق النفس الكلية، والوحي إفاضة العقل الكلي، (هكذا يقول –رحمه الله-!!)[7].

ومع الإقرار بكون الإلهام مصدرا للمعرفة عند الغزالي فهو يقر كذلك بأن الإلهام دون الوحي، والولي دون النبي « فكما أن النفس دون العقل فالولي دون النبي، فكذلك الإلهام دون الوحي ... لكن بالوحي والإلهام كليهما يحصل علم فالعلم بلا واسطة

---

(1) السابق ص: 26.

(2) السابق ص: 26-27.

(3) السابق ص: 27.

(4) السابق ص: 27.

(5) السابق ص: 28.

(6) سورة النجم، الآية: 5.

(7) اللدنية ص: 28.

بين النفس وبين البارئ[1], كما هو للنبي هو للولي، والعلم علم الأنبياء والأولياء » «العلم اللدني يكون لأهل النبوة والولاية كما كان للخضر عليه السلام».[2]

بقيت أسئلة ثلاثة:

كيف يحصل هذا العلم؟ ثم ما السرّ في عدم حصوه لكل الناس؟ وأخيراً ما هي أسباب حصوله لمن وقع له؟

أما كيف يحصل هذا العلم فجوابه بأن « الله تعالى إذا أراد بعبد خيراً رفع الحجاب بين نفسه وبين النفس التي هي اللوح، فيظهر فيها أسرار بعض المكنونات وينتقش فيها معاني تلك المكنونات، فتعبر النفس عنها كما تشاء لمن يشاء من عباده، وحقيقة الحكمة تنال من العلم اللدني، وما لم يبلغ الإنسان هذه المرتبة لا يكون حكيماً».[3]

« وذلك لأن الواصلين إلى مرتبة العلم اللدني مستغنون عن كثرة التحصيل وتعب التعليم فيتعلمون قليلاً ويعلمون كثيراً، ويتعبون يسيراً ويستريحون طويلاً ».[4]

وأما عن السرّ الذي جعل طائفة دون غيرها تختص بهذا العلم الإلهي فيوضحه الغزالي – رحمه الله – بقوله: «اعلم أن العلوم مركوزة في جميع النفوس الإنسانية وكلها قابلة لجميع العلوم، وإنما يفوت نفساً من النفوس حظُّها منه بسبب طارئ وعارض يطرأ عليها من خارج، فكل النفوس مهيأة بالطهارة الأصلية والصفاء الأولى لإدراك الحقائق لكن مرض بعضها بأمراض يمنعها من ذلك، وهذا هو الفارق بين النفوس النبوية وغيرها من النفوس، فالنفس الناطقة الإنسانية أهل لإشراق النفس الكلية عليها ومستعدة لقبول الصور المعقولة عنها بقوة طهارتها الأصلية وصفائها الأولي ولكن يمرض بعضها في هذه الدنيا وتمتنع عن إدراك الحقائق بأمراض مختلفة وأعراض شتى ، ويبقى بعضها على الصحة الأصلية بلا مرض ولا فساد ».[5]

«والنفوس الصحيحة هي النفوس النبوية القابلة للوحي والتأييد.... فإن تلك النفوس باقية على الصحة الأصلية، وما تغيرت أمزجتها بفساد الأمراض وعلل الأعراض، فصار الأنبياء أطباء النفوس ودعاة الخلق إلى صحة الفطرة».[6]

« وأما أصحاب النفوس المريضة في هذه الدنيا الدنيئة فصاروا على مراتب ، بعضهم تأثر بالمرض تأثرا ضعيفا ... فيزول مرضهم بأدنى معالجة ، وينقشع غمام نسيانهم بأدنى تذكر ، وبعضهم يتعلمون طوال عمرهم ولا يفهمون شيئا لفساد أمزجتهم ن لأن المزاج إذا فسد لا يقبل العلاج ، وبعضهم يتذكرون وينسون ويرتاضون ويذلون أنفسهم ويجدون لها إشراق ضعيفا »[7]

والسبب في هذا التفاوت بين نفس ونفس كما يرى الغزالي هو «إقبال النفس على الدنيا واستغراقها بحسب قوتها وضعفها كالصحيح إذا مرض والمريض إذا صح».[8]

أما لماذا تمرض النفس "فلأنها أقبلت على هذا الهيكل واشتغلت بعمارته ورعايته والاهتمام بمصالحه".[9]

---

(1) ص: 29.

(2) ص:30.

(3) ص: 30، 31.

(4) ص: 31.

(5) ص: 32.

(6) ص: 33-34.

(7) ص:33.

(8) ص: 33.

(9) ص: 34.

«وهذه العقدة إذا انحلت تقر النفوس بوجود العلم اللدني وتعلم أنها كانت عالمة في أول الفطرة وصافية في ابتداء الاختراع وإنما جهلت لأنها مرضت بصحبة هذا الجسد الكثيف، والإقامة في هذا المنزل الكدر والمحل المظلم، وأنها لا تطلب بالتعلم إيجاد العلم المعدوم، ولا ابداع العقل المفقود ؛ بل اعادتها العلم الأصلي الغريزي».[1]

« فعلمنا أن العلوم ما فنيت وإنما نسيت وفرق بين المحو والنسيان، فإن المحو فناء النقوش والرسوم، والنسيان التباس النفوس فيكون كالغمام أو السحاب الساتر لنور الشمس عن أبصار الناظرين، لا كالغروب الذي هو انتقال الشمس من فوق الأرض إلى أسفل».[2]

فالغزالي رحمه الله يرى الداء والدواء في النفس ذاتها ، فبدلا من الاشتغال بالتعلم لاكتساب العلوم والمعارف فالواجب الاشتغال بالتطهير والتزكية لإزالة السبب المانع من تلك العلوم ؛ لأن التعلم عنده ليس اكتساب جديد بل تذكر قديم ، هو عند الغزالي ليس اكتسابا يزال به الجهل ، بل تذكر لما نسي بسبب شواغل الدنيا والمرض العارض لجوهر النفس ، والذي بزواله يزول المانع فتتذكر النفس ما نسيت ، فإن العلوم ما فنيت وإنما نسيت « فاشتغال النفس بالتعلم هو إزالة المرض العارض عن جوهر النفس لتعود إلى ما علمت في أول الفطرة وعرفت في بدء الطهارة ».[3]

فالتعلم عنده رحمه الله تفكر وتذكر ، والسبيل إليهما دفع الشواغل وإزالة الموانع الحاصلة بسبب انحباس النفس بمنزل الجسد الكدر ومحله المظلم ، ومن هنا اختلف عمل أولياء الصوفية عن عمل العلماء، فالعلماء يعملون في اكتساب نفس العلوم واجتلابها إلى القلب، أما أولياء الصوفية فيعملون في جلاء القلوب وتطهيرها وتصفيتها وتصقيلها

« وليس التعلم إلا رجوع النفس إلى جوهرها وإخراج ما في ضميرها إلى الفعل طلباً لتكميل ذاتها ونيل سعادتها».[4]

لكن كيف تكمل النفس ذاتها وتنال سعادتها؟ وهو الجواب عن أسباب حصول العلم اللدني؟ وهل يكون ذلك بغير اكتساب العلوم واجتلابها إلى القلب كما هي طريقة العلماء؟

تكمل النفس ذاتها كما يرى الغزالي بأمور ثلاثة: أولها تحصيل جميع العلوم وأخذ الحظ الأوفر منها، ثم الرياضة الصادقة والمراقبة الصحيحة، وختام ما تكمل به النفس التفكر.

« اعلم أن العلم اللدني وهو سريان نور الإلهام يكون بعد التسوية، كما قال الله تعالى: (ونفس وما سواها) [5] وهذا الرجوع يكون بثلاثة أوجه : أحدها تحصيل جميع العلوم وأخذ الحظ الوافر من أكثرها ، والثاني الرياضة الصادقة والمراقبة الصحيحة والثالث التفكر ، فإن النفس إذا تعلمت وارتاضت بالعلم ثم تتفكر في معلوماتها بشروط التفكر الصحيح ينفتح عليها باب الغيب ».[6]

«ولا سبيل إليه – يقصد العلم اللدني (علم الآخرة) – إلا بالرياضة .... وبالعلم والتعليم) » [7]

3- العلم اللدني عند ابن عربي: (توفي سنة 638 هـ)

يجعل ابن عربي – رحمه الله – العلوم ثلاث مراتب دنيا ووسطى وعليا، ولكل أدواتها، فمرتبة أداتها العقل (علم اليقين)،

---

(1) ص: 33-34.

(2) ص 35

(3) ص: 33.

(4) ص 34 .

(5) سورة الشمس الآية 6

(6) اللدنية ص 36

(7) الإحياء ج1 ص 20

ومرتبة أداتها الذوق (علم الأحوال)، وثالثة فوق العقل والذوق (علوم الأسرار).

المرتبة الأولى: علم العقل وهو كل علم يحصل لك ضرورة، أو عقب نظر في دليل بشرط العثور على وجه ذلك الدليل وشبهه من جنسه في عالم الفكر الذي يجمع ويختص بهذا الفن من العلوم لذا كان في النظر صحيح وفاسد. هذا حده من جهة المعنى ، أما من جهة العبارة فهو ذلك العلم الذي إذا بسطته العبارة حسن وفهم وعذب عند السامع. [1]

المرتبة الثانية: علم الأحوال والمقصود به العلم الحاصل بالاقتران بالحال، فإذا لم يقترن صاحبه بالحال لم يعلم، يقول ابن عربي: « ولا سبيل إليها – أي معرفة الأحوال – إلا بالذوق، فلا يقدر عاقل على أن يحدّها ولا يقيم على معرفتها دليلاً، كالعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبر ولذة الجماع والعشق والوجد والشوق وما شاكل هذا النوع من العلوم، فهذه علوم من المحال أن يعلمها أحد إلا بأن يتصف بها، ويذوقها، وشرطها – لتكون المعرفة صحيحة – سلامة الإدراك والبراءة من الآفات، فمن يغلب على فمه المرارة يجد العسل مرّاً وليس هو كذلك»[2]، وهو علم المرتبة الوسطى « وأما علوم الأحوال فمتوسطة بين علم الأسرار وعلم العقول».[3]

فعلم الأحوال هذا لا يدركه إلا ذائقه، أما غيره فلا سبيل له إليه إلا أن يعرفه قياساً على من ذاقه، كأن يقول له في لذة ما لم يذق هو كالعسل، وليس هذا كمن ذاق، وإنما هو للتقريب فقط، ولو لم يكن هذا ذائقاً لغير ما وصف له (العسل) ما استطاع الواصف أن يصف له ما لم يذق، إلا أن يذوق الموصوف أو ما به المقاربة والتشبيه، ولو على سبيل المقاربة.

وعلم الأحوال هذا لا ينكر على أصحابه، لأنه ليس لمن لم يذق الإنكار على من ذاق[4].

المرتبة الثالثة: علم الأسرار (العلم اللدني) وهذا فوق طور العقل فلا يدرك باكتساب، ولا بذوق بل هو علم ينفثه روح القدس في روع نبي أو وليّ.

وعلم الأسرار هذا نوعان، نوع يدرك مثله بالعقل، لكن العالم به هنا لم يدركه بذلك، بل بمنحة وهبة.

والنوع الآخر على ضربين: ضرب يلتحق بعلم الأحوال لكن حاله أشرف، وضرب هو من علوم الأخبار وهي التي يدخلها الصدق والكذب، إلا أن يكون المخبر بها قد ثبت صدقه عند المخبر وثبتت عصمته.

ويضرب ابن عربي لكل نوع من الثلاثة مثالاً: فما يدرك مثله بالعقل لكن العالم يدركه بعلم إلهي كقوله: «كان الله ولا شيء معه»[5]،فهذا قد يدرك بالنظر لكن العالم هنا لم يدركه بذلك بل بما أدرك المعصوم ، وما هو من علوم الأخبار كقوله: « إن ثمّة جنة »، فهذا يدرك بالخبر لكن العالم لا يدركه بخبر المعصوم بل بما أدرك المعصوم، وقولها عنها: « في الجنة حوض كالعسل» ملحق بعلم الأحوال .[6]

وعلم الأسرار هذا هو « العلم اللدني » عند ابن عربي، ولأنه علم أسرار يكثر عليه الإنكار، والقاعدة التي يقيمها الشيخ – رحمه الله – في هذا أنه إذا أتى من معصوم فالأمر ظاهر، وإن أتى من غيره فإن كان ما أتى به مما يجوزه العقل وسكت عنه الشارع فلا ينبغي رده، بل نحن مخيرون في قبوله أو السكوت عنه، فإن كان المخبر به عدلاً قبلنا، كما تقبل شهادته ويحكم بها في

---

(1) الفتوحات المكية، ج 1 ص: 57.

(2) يقول المتنبي: فمن يك ذا فمٍ مرٍ مريض يجد مرّاً به الماء الزلالا .

ينظر: محيي الدين بن عربي، ص76.

(3) الفتوحات المكية، ج 1 ص: 57.

(4) السابق، ص76.

(5) أخرجه البخاري بلفظ كان الله ولم يكن شيء غيره . صحيح البخاري تحقيق محمد زهير الناصر دار طوق النجاة ط1،1422هـ برقم 3191 ج4 ص 105.

(6) لعله أراد به هنا أن الصوفي يدرك هذا الغيبي بالذوق الوجداني أي بذوق يجده في قلبه قائم مقام ما يوجد بالذوق الحسي، فكما يدرك ما في المرتبة الثانية علم الأحوال بالذوق الحسي يدرك هذا الذي هو من علم الأسرار بالذوق الوجداني، ومن هنا كان ملحقا بعلم الأحوال.

الأموال والأرواح، وإن كان غير عدل ظاهراً نظرنا فيما أخبر به، فإن كان حقّاً بوجه صحيح عندنا قبلناه، وإلا تركناه في باب الجائزات ولم نتكلم في صاحبه، ويعلل ابن عربي مجيء المخبر بغير ما يُعْلَم بأنه إن جاء مما جاء به المعصوم مما نعلم فقد حكى لنا ما عندنا فلم يزدنا فائدة بخبره، وإنما يأتي للإفادة بأسرار وحكم خارجة عن قوة الفكر والكسب، لا تُنال إلا بالمشاهدة والإلهام، وسمة هذا العلم أنه إذا أخذته العبارة سمج واعتاص على الأفهام دركه وخشن، وإنما يوصله صاحبه إلى الأفهام بضرب الأمثلة، أمّا السر في كون علم الأسرار هذا أعلى منزلة ورتبة من غيره ، فلأنه علم لا يخطئ أبدًا، وكيف يخطئ وهو عن الله، ولأنه كذلك فهو علم الأنبياء، لذا كان علمه – صلوات الله عليه – علماً لدنيّاً لا مكتسباً « فإن الإمام لا يقتني العلوم من فكره ، بل لو رجع إلى نظره لأخطأ، فإن نفسه ما اعتادت إلا الأخذ عن الله»[1] « ولا يسمى الشخص إلاهياً إلا أن لا يكون أخذه العلوم إلا عن الله من فتوح المكاشفة بالحق »[2] ولذلك كانت علوم الضرورات يقينية لا تقبل الشبه ولا الشكوك إذ هي من الله، « وعلم ضرورات العقول من الله لأنها حاصلة لا عن نظر واستدلال، ولهذا لا تقبل الضرورات الشبه أصلاً ولا الشكوك إذا كان الإنسان عاقلاً، فإن حيل بينه وبين عقله فما هو الذي قصدنا البيان عنه »[3] فالعلم اللدني مقدم لأنه علم إحاطة وهو علم الأنبياء، ولا يخطئ أبداً ثم هو علم ضرورات العقل التي هي مبدأ العلوم ومرجعها، ولمزيد الإعلاء من شأن العلم اللدني يجعل ابن عربي الأخذ بطريق الاكتساب والنظر احتجاباً عن الله، « وما أراد الله لعنايته بهذا العبد أن يرزقه الأخذ من طريق فكره فيحجبه ذلك عن ربه »[4]« لا حجاب بين الله وبين عبده أعظم من نظره إلى نفسه، وأخذه العلم عن فكره ونظره، وإن وافق العلم فأخذه من الله أشرف »[5]، وهذا وإن كان الشيخ يقوله فيما يتعلق بمعرفة الله تعالى لا في كل معرفة فإنه يشير إلى معنى عام عند المتصوفة سبق بيانه في كلام الغزالي – رحمه الله – وهو أن العلم المكتسب مهما بلغ المرء في تحصيله ليس بكافٍ ولا يمكن الاعتماد عليه؛ إذ لا ترتفع به الحجب ولا تنكشف الأغطية، بل قد يكون هو نفسه حجاباً – كما تقدم بيانه . لكن ما دليل الشيخ ابن عربي على هذا الذي يقرر؟

يقيم ابن عربي – رحمه الله – دليله على قوله من وجوه:

الأول: ما حدث في نهي النبي ﷺ عن إبار النخل ففسد، وإنما فسد لأنه نهي عن غير وحي إلهي، وإذا كان هذا وقع معه مع كمال عقله فكيف بمن هو دونه، يقول الشيخ: « يدل على صحة ما ذكرنا نهي النبي ﷺ عن إبار النخل ففسد لأنه لم يكن عن وحي إلهي ... فإنه ﷺ ما تعود أن يأخذ العلوم إلا من الله لا نظر له إلى نفسه في ذلك، وهو الشخص الذي لا أكمل منه، فما ظنك بمن هو دونه؟ »[6].

الثاني: ما جاء عن الصحابة ﷺ من أحاديث تدل على علم لا تفهمه العامة، وربما رموا صاحبه بالعظائم، من ذلك حديث أبي هريرة ﷺ: « حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين فأما أحدهما فبثته، وأما الآخر فلو بثته قطع مني هذا البلعوم »[7].

---

(1)الفتوحات المكية، ابن عربي، ج 5، ص 207.

(2) السابق ، ج 5، ص 206-207.

(3)السابق ، ج 5، ص 206.

(4)السابق ، ج 5، ص 206.

(5) السابق.

(6) الفتوحات المكية، ابن عربي، ج5 ص 207، وحديث إبار النخل رواه مسلم برقم 2362 .

(7)صحيح البخاري ، كتاب العلم، باب حفظ العلم، ج 1 ص35، حديث رقم: (120).

وحديث ابن عباس ﷺ لما قال في قوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ) [1] لو ذكرت تفسيره لرجمتموني وفي رواية لقلتم إني كافر. [2]

الثالث: ما في قصة الخضر مع موسى – عليهما السلام – « وبهذه القصة عينها يُحتج على المنكرين لكن لا سبيل إلى خصامهم، ولكن نقول كما قال العبد الصالح: (هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ) [3]»[4].

بقي سؤال لا بد منه عن العلاقة بين العلم اللدني والإلهام، فهل الإلهام عند شيخ المتصوفة الأكبر هو ذاته العلم اللدني؟

يجيب ابن عربي عن هذا بعد أن يقرر أن علم الإلهام هو أن تعلم أن الله ألهمك بما أوقره في نفسك شريطة أن تفرّق بين ما يجيء به الملك وما يوسوس به الشيطان، « ففرق بين العلم اللدني والإلهام، فالإلهام عارض طارئ يزول ويجيء غيره، والعلم اللدني ثابت لا يبرح» [5]، « ولا يلزم من العلم للدني أن يكون في مادة، والإلهام لا يكون إلا في مواد، والعلم يصيب ولا بد، والإلهام قد يصيب وقد يخطئ، فالمصيب منه يسمى علم الإلهام، وما يخطئ منه يسمى إلهاماً لا علم إلهام »[6].

فالإلهام عند الشيخ غير علم الإلهام، إذ علم الإلهام عنده هو الإلهام الموافق الذي وقع اليقين بموافقته، وكأن الإلهام عنده هو الخاطر، وعلم الإلهام هو صدقه، وهو نظير ما عند القشيري والجيلاني « ويعلم صدقه بموافقته العلم»، وعلم الإلهام هذا وإن كان يقينياً فإنه دون العلم اللدني؛ لأن علم الإلهام عارض يزول ويجيء، والعلم اللدني دائم مستقر، فعلم الإلهام جزئي لذا فهو طارئ، والعلم اللدني كليّ لذا كان ثابتاً.

بعد هذا التطواف بين الكبار الثلاثة من شيوخ المتصوفة يمكن ملاحظة أنه وإن اختلفت العبارة بينهم فإنّ المعنى واحدٌ، فكلهم مقرّ بتنوع العلوم واختلاف رتبتها، وأن أعلاها هو العلم اللدني، الذي هو علم الأسرار والأفكار.

بقي سؤال أخير كثيراً ما يُعترض به على الإلهام وأهله وهو ما الحاجة إلى الإلهام، والوحي بين أظهرنا، فإذا كان الوحي انقطع فالموحى به باقٍ خالدٍ محفوظ؟

وجواب هذا من وجهين:

الأول: أننا نحتاج الإلهام لا لنشئ ولا لنخترع أو نبتدع، بل لنفهم الموحى به، فالإلهام كالاجتهاد أداة فهم، غير أنه أعلى مرتبة وأصدق حديثاً لأنه نور من الله، ولعلك تجد هذا في قول علي ﷺ: « إلا أن يوتي الله عبداً فهماً في كتابه»[7] يقول الغزالي: « وليس هذا بالتعلم»[8]، وهذا الفهم أعم من أن يكون بالنظر والاستدلال، بل كونه بالإلهام أقرب إذ فيه: « يؤتي الله » وما يؤتيه الله هو إلى الإلهام أقرب منه إلى الفهم بطرق الاستدلال المعهودة؛ لأنه إيتاء مطلق، فالفهم نور العلماء، والإلهام نور الأولياء!! لكن:

ما ضابط هذا وما شرطه؟ وكيف يميز إلهام صحيح من فاسد، إلهام رحمن من وسوسة شيطان؟

---

(1) سورة الطلاق، من الآية: 12.

(2) ينظر الجامع لعلوم الإمام أحمد – قسم الفقه، أبو عبد الله أحمد بن حنبل، خالد الرباط، سيد عزت عيد [بمشاركة الباحثين بدار الفلاح]، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم – جمهورية مصر العربية، ط 1، 1430 هـ – 2009 م، ج13، ص 507.

(3) سورة الكهف، من الآية: 78.

(4) الفتوحات، ج 1 ص56..

(5) الفتوحات ج1 ص 434 .

(6) السابق نفسها .

(7) حديث علي أخرجه البخاري في كتاب العلم برقم 111 صحيح البخاري بتحقيق محمد زهير الناصر دار طوق النجاة ط1، 1422هـ ج4 ص 105 .

(8) الإحياء ج3 ص 24

وجوابه: أن ذلك إن كان من جهة الحكم فضابطه عدم المخالفة « علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة ».[1]

وإن كان من جهة المعنى فضابطه عدم مخالفة اللغة وما دلت عليه، إذ ذاك هو الفيصل بين فهمِ باطنٍ وفهمِ باطنية، لكن هذا باب واسع زلّت فيه أقدام وتاهت عقول، إذ ما يراه قوم مخالفة وخروجاً، ربما رآه غيرهم فهماً زائداً وولوجاً، لذلك تجده محل خلاف كبير حتى بين أرباب السلوك وأصحاب المعاني أنفسهم!

الوجه الثاني من أوجه احتياجنا إلى الإلهام مع انقطاع الوحي وبقاء الموحى به أنه مع الانقطاع لم يبق من نور يُقذَف إلا نور الإلهام أو ما في حكمه من الدلائل النورانية « المبشرات كالرؤيا والكشف وما في حكمهما » فاحتجنا إليه لذلك، مع الإقرار بعلوّ منزلة الوحي عن منزلة الإلهام، ورتبة النبي عن رتبة الولي، ولو لم نكن نحتاج مع الموحَى به غيره ما بقيت لنا المبشرات « ذهبت النبوة وبقيت المبشرات»[2] وإنما نحتاج الإلهام لدوام ضرورة النفس وحاجتها إلى تأكيد وتجديد وتذكير كما يقول الغزالي – رحمه الله–.[3]

❁❁❁

المبحث الثالث : طريقة حصول الإلهام عند الصوفية:

الإلهام نبوءة الأولياء – إن صحت العبارة[4]–؛ لذا فالأصل فيه أن يكون لدنيّاً لا كسبياً كما النبوة، فهو كما عرفه أرباب السلوك : « خاطر يهجم على القلب، وارد يرد بلا أين ولا كيف »، وهو لذلك هبة لا يد للعبد فيها، ومنحة من مولاه يختص بها من يشاء.

فكما النبوة لا تكون برياضة أو مجاهدة[5]، وإن كان قد يُقدم لها بذلك، فكذلك الأصل في الإلهام، ألا يكون برياضة أو بمجاهدة، وكون الإلهام من حيث الأصل إنما هو منحة وهبة لا يعني أن ليس للمجاهدة فيه يدٌ، ولا به علاقة، بل كثيراً ما تكون المجاهدة مفتاحاً لألطاف الهداية وشوارق الأنوار قال تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) [6] فجعل المجاهدة مفتاح الهداية ، وقال: (إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً) [7] فجعل التقوى شرطاً والفرقان نتيجة، وقال: (اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ) [8] فجعل النور مكافأة على التقوى والإيمان، وعلى هذا فالإلهام نوعان: إلهام اصطفاء ويكون للعبد بلا سابق رياضة ومجاهدة، لأمر يعلمه الله ومطلع عليه، وإلهام مكافأة ، وهو ما يكون للعبد جزاء طاعته ومجاهدته وتقربه وتوده ، وهو المقصود بقول الجنيد – رحمه الله –: « باب كلّ علم نفيس جليل بذل المجهود »[9].

---

(1) مدارج السالكين ج2 ص 42 .

(2)أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب المبشرات، برقم 6990، ومالك في الموطأ، كتاب الرؤيا، باب ما جاء في الرؤيا، برقم 715.

(3) الرسالة اللدنية ص 31

(4) النبوة من الإنباء وهو الاخبار، وحيث لا إخبار بعد انقطاع وحي النبوة إلا مبشرات ومنها الإلهام، كأن الإلهام ؟؟؟؟ الأولياء من هذا الوجه.

(5) الناظر في أمر نبوة المرسلين يجد أن أحوالهم معها تعددت، فمن نبي أكرمه الله بنبوته ورسالته إكراماً لأب أو إجابة دعوة له، كما كان الشأن في آل إبراهيم (وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ)، وآل داود وآل زكريا، إلى نبي من نبأ وأرسل معيناً وناصراً ومؤيداً كما كان شان هارون مع موسى عليهما السلام (وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي) (وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي)، إلى نبي لم يكن في أهله وقومه مرسل قبله، وإنما كانت النبوة والرسالة هبة خالصة ومنحى محضة كما هو في شأن مولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكما هو في شأن موسى وإبراهيم وأكثر الأنبياء عليهم السلام.

(6) سورة العنكبوت، الآية 69.

(7) سورة الأنفال الآية 29.

(8) سورة الحديد الآية 28.

(9) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ)، المحقق: محمود الطحان، مكتبة المعارف – الرياض، ج 2، ص 180.

وإلى نوعي الإلهام هذين أشار الغزالي – رحمه الله – لما تكلم عن السبب الذي ينال به حسن الخلق على الجملة ، يقول – رحمه الله –: « قد عرفت أن حسن الخلق يرجع إلى اعتدال قوة العقل وكمال الحكمة، وإلى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها للعقل مطيعة وللشرع أيضاً، وهذا الاعتدال يحصل من وجهين:

أحدهما: بجود إلهي وكمال فطري، بحيث يخلق الإنسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفي سلطان الشهوة والغضب... فيصير عالماً بغير تعليم، ومؤدباً بغير تأديب، كعيسى بن مريم ، ويحي بن زكريا عليهما السلام، وكذا سائر الأنبياء – صلوات الله عليهم أجمعين – ، ولا يبعد أن يكون في الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب، فربّ صبي خلق صادق اللهجة سخياً جريئاً وربما يخلق بخلافه، فيحصل ذلك فيه بالاعتياد ومخالطة المتخلقين بهذه الأخلاق، وربما يحصل بالتعلم »[1].

والوجه الثاني: اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة، وأعني به حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب[2].

ويؤكده – رحمه الله – عند تفريقه بين علوم العلماء وعلوم الأولياء بأن العلماء يجلبون العلوم إلى القلب بالعمل على اكتسابها، أما الأولياء فبدلاً من جلبهم العلوم اكتساباً ينصرفون إلى جلاء القلب نفسه وتطهيره وتصفيته وتصقيله ليتهيأ لتلقي العلوم، فإذا فعلوا حلت به هذه دون تعب أو اكتساب ، ويضرب – رحمه الله – لهذا مثالاً جميلاً يحكيه عن أهل الصين وأهل الروم، يقول – رحمه الله –: « فقد حكي أن أهل الصين وأهل الروم تباهوا بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور ،فاستقر رأي الملك على أن يسلم إليهم صفة لينقش أهل الصين منها جانبا وأهل الروم جانبا ويرخي بينهما حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الآخر ، ففعل ذلك فجمع أهل الروم من الأصباغ الغريبة ما لا ينحصر ، ودخل أهل الصين من غير صبغ وأقبلوا يجلون جانبهم ويصقلونه ،فلما فرغ أهل الروم ادعى أهل الصين أنهم قد فرغوا أيضاً فعجب الملك من قولهم وأنهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ، فقيل : وكيف فرغتم من غير صبغ ؟ فقالوا : ما عليكم ارفعوا الحجاب فرفعوا وإذا بجانبهم يتلألأ منه عجائب الصنائع الرومية مع زيادة إشراق وبريق، إذ كان قد صار كالمرآة المجلوة لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد التصقيل ، فكذلك عناية الأولياء بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وصفائه حتى يتلألأ فيه جلية الحق بنهاية الإشراق كفعل أهل الصين، وعناية الحكماء والعلماء بالاكتساب ونقش العلوم وتحصيل نقشها في القلب كفعل أهل الروم ».[3]

والذي يعنينا من كلامه هنا هو إثباته حصول العلم بغير تعليم ولا مجاهدة أو رياضة بل بجود إلهي وكمال فطري، فيصير عالما بغير تعليم، وهذا ما سماه ابن عربي – رحمه الله – علم الإلهام وقد تقدم، أما حصول الإلهام وما ينشأ عنه من علم بالمجاهدة والرياضة فكثير في كلامهم، وما يذكره الصوفية من طريقة لاستجلاب الرحمة واستدعاء الألطاف وحصول الإلهام المقصود به هذا النوع الثاني، وقوامه تطهير القلب وتصفيته الذي هو الغاية من الطاعات وأعمال الجوارح ، والوسيلة إلى حصول أنوار الإيمان وإشراق أنوار المعارف « وإنما مراد الطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه ، ومراد تزكيته حصول أنوار الإيمان فيه، أعني إشراق نور المعرفة ،وهو المراد بقوله تعالى: (فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ)[4]، وبقوله: (أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ) »[5].

---

(1) الإحياء للغزالي ج 3، ص 58.

(2) السابق، الصفحة نفسها.

(3) الإحياء، ج 3، ص 22.

(4) سورة الأنعام الآية. 155.

(5) سورة الزمر الآية 22.

والسر في إشراق نور المعرفة في القلب، بالتزكية والتصفية أن التزكية ترفع الحجاب: « ومتى ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الأشياء فيه وتفجر إليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس، فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الأرض» [1]

وما الحجاب إلا الذنوب فإذا ارتفعت بالتزكية ارتفع فتحصل المعرفة: « ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلوب، وعند ذلك يعمى القلب عن إدراك الحق ... وهذا هو معنى اسوداد القلوب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة »[2] .

أما كيف تكون التزكية التي هي طريق العلوم الإلهية « فبتقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى ، ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم ، وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلهية، فليس على العبد إلا الاستعداد بالتصفية المجردة وإحضار الهمة مع الإرادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة ، فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب ، بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن كان لله كان الله [3]له» .

وما ذكره الشيخ الغزالي – رحمه الله – أكده الشيخ ابن عربي إذ يرى أن السبيل إلى المعارف الربانية هو لزوم الخلوة والذكر وتفريغ المحل من الفكر، يقول – رحمه الله –: « فإن المتأهب الطالب للمزيد المتعرض لنفحات الجود بأسرار الوجود إذا لزم الخلوة والذكر، وفرغ المحل من الفكر، وقعد فقيراً لا شيء له عند باب ربه، حينئذٍ يمنحه الله تعالى، ويعطيه من العلم به والأسرار الإلهية والمعارف الربانية التي أثنى الله سبحانه بها على عبده خضر فقال: (عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً) [4] وقال تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ) [5]، وقال تعالى: (إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً) [6] ، وقال: (وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ)[7]»[8]

« ولما رأت عقول أهل الإيمان بالله تعالى إن الله قد طلب منها أن تعرفه بعد أن عرفته بأدلتها النظرية علمت أن ثم علماً آخر بالله لا تصل إليه من طريق الفكر فاستعملت الرياضات والخلوات والمجاهدات وقطع العلائق والانفراد والجلوس مع الله بتفريغ المحل وتقديس القلب عن شوائب الأفكار إذ كان متعلق الأفكار الأكوان ، واتخذت هذه الطريقة من الأنبياء والرسل كل ما يأخذ، وسمعت أن الحق جل جلاله ينزل إلى عباده ويستعطفهم فعلمت أن الطريق إليه من جهته أقرب إليه من الطريق من فكرها، ..... فعند هذا التوجه أفاض الله عليه من نوره علماً إلهياً عرّفه بأن الله تعالى من طريق المشاهدة والتجلي لا يقبله كون ولا يردّه »[9].

---

(1) الإحياء، ج 3، ص 21.

(2) السابق، ج 3، ص 12.

(3) الإحياء، ج 5، ص 19.

(4) سورة الكهف، من الآية 65 .

(5) سورة البقرة الآية282 .

(6)سورة الأنفال الآية 29 .

(7) سورة الحديد الآية 28

(8)الفتوحات المكية ج 1، ص 54 .

(9) الفتوحات المكية، ج 1، ص 436.

وكما أكد المعنى ابن عربي أكده كذلك الشيخ أبوسالم العياشي[1] عند حديثه عن كيفية حصول الإلهام يقول رحمه الله : «فيقبلون بكليتهم على صدق المتابعة وتزكية النفس وتهذيبها على طريق الاقتداء وإفراد الوجهة وقطع العلاقة حتى تشرق أنوار الحق في قلوبهم فتفتح لها أبواب الملكوت »[2].

وحول المعنى ذاته الذي ذكره الغزالي وأكده ابن عربي والعياشي – رحمهم الله –كلام الشيخ الزروق[3] — رحمه الله — عن الفراسة الشرعية التي كثيراً ما ترد بمعنى الإلهام أو هي أثره ونتيجته يقول رحمه الله: « الفراسة الشرعية نور إيماني ينبسط على القلب حتى يميز في نظر صاحبه حالة المنظور فيه من غيره، بل يميز أحواله في النظر إليه، بحسب أوقاته ولكل مؤمن منها نصيب، لكن لا يهتدي إلى حقيقتها إلا من صفا قلبه من الشواغل والشواغب، ثم هو لا يقبل الخاطر منها إلا بعد تردده مرة في البداية، وبعد اعتياده على حسب اعتياده، وإليها الإشارة يقول ﷺ: كان في الأمم محدثون، فإن يكن في أمتي فعمر منهم »[4] .

هذا الذي أجمله ابن عربي من أمر لزوم الخلوة وتفريغ المحل وأكد عليه المتصوفة قبله وبعده ذكره الغزالي بمزيد تفصيل بعد إجمال لما ذكر الطريق إلى بلوغ انكشاف سر الملكوت وتلألأ حقائق الأمور الإلهية: « وزعموا أن الطريقة في ذلك وزعموا أن الطريق في ذلك أولا بانقطاع علائق الدنيا بالكلية وتفريغ القلب منها وبقطع الهمة عن الأهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه، بل يصير قلبه إلى حالة يستوي فيها وجود كل شيء وعدمه ، ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب ويجلس فارغ القلب مجموع الهم ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره ، بل يجتهد أن لا يخطر بباله شيء سوى الله تعالى ،فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلا بلسانه الله الله على الدوام مع حضور القلب حتى ينتهي إلى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه، ثم يصبر عليه إلى أن يمحي أثره عن اللسان ويصادف قلبه مواظبا على الذكر، ثم يواظب عليه إلى أن يمحي عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا في قلبه حاضرا فيه كأنه لازم له لا يفارقه وله اختيار إلى أن ينتهي إلى هذا الحد واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله تعالى ، بل هو بما فعله صار متعرضا لنفحات رحمة الله ،فلا يبقى إلا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة كما فتحها على الأنبياء والأولياء بهذه الطريق ، وعند ذلك إذا صدقت إرادته وصفت همته وحسنت مواظبته فلم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا تلمع لوامع الحق في قلبه ، ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد يتأخر، وإن عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفا وإن ثبت قد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر أمثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد ، ومنازل

---

(1) هو عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي، أبو سالم: فاضل، من أهل فاس .قام برحلة دوّنها في كتابه " الرحلة العياشية – ط " في مجلدين، سماها " ماء الموائد " وله " إظهار المنة على المبشرين بالجنة – خ ومنظومة في " البيوع " وشرحها، و " تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية " و " اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر – خ " في ابتداء " المجموع 280 أوقاف " في خزانة الرباط. ولحفيده محمد بن حمزة بن أبي سالم كتاب فيه، سماه " الزهر الباسم في جملة من كلام أبي سالم – خ " (1)توفي سنة 1090هـ الأعلام ج4 ص 129 .

(2) الرحلة العياشية للبقاع الحجازية المسمى ماء الموائد لعبد الله بن محمد العياشي ، تحقيق وتعليق: أحمد فريد الزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، يقول ماء العينين مصطفى بن محمد فاضل : فمن واصل الذكر وصبر عليه يعطيه الله علما لدنيا وأسرارا ربانية ، ويعطيه البداعة في منطقه وفي رأيه . نعت البدايات وتوصيف النهايات ، دار الفكر، بيروت، ص: 175، وانظر الإلهام في الكتابة الصوفية روافد وتجليات وإشكالات لخالد النوراني، مجلة يتفكرون، العدد 5، خريف 2015م.

(3) أبو العباس أحمد بن محمد فقيه محدث صوفي أصله من فاس وقبره بمصراتة ، له تصانيف كثيرة ، يميل فيها إلى الاختصار مع التحرير ، أجاد فيما صنف في التصوف.من كتبه شرح مختصر خليل والنصيحة الكافية وقواعد التصوف وعدة المريد الصادق توفي سنة 899هـ. الأعلام ج1 ص91

(4) قواعد التصوف، تحقيق: عبد المجيد خيال، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 105.

أولياء الله تعالى فيه لا تحصر كما لا يحصى تفاوت خلقهم وأخلاقهم ،وقد رجع هذا الطريق إلى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء ثم استعداد وانتظار فقط »[1].

❁❁❁

المبحث الرابع : منهج المتصوفة في قبول الإلهام أو رده:

على الرغم من أن عبارات أهل التصوف تجمع على أن الإلهام لا يأتي بما يخالف الشريعة، يقول الغزالي – رحمه الله –: « من قال إن الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يناقض الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان »[2]، ويقول ابن عربي – رحمه الله –: « لقد أجمع رجال التصوف جميعاً على أن لا تحليل ولا تحريم بعد شريعة رسول الله وخاتم النبيين صلوات الله عليه »[3] ويقول في رد الإلهام إذا خالف النص :

لا تحكمن بإلهام تجده فقد ... يكون في غير ما يرضاه واهبه

لا تطلبن من الإلهام صورته ... فإن وسواس إبليس يصاحبه

في شكله و على ترتيب صورته ... و إن تميز فالمعنى يقاربه[4]

وفي كلامه عن الكشف الذي هو رتبة فوق الإلهام يشترط عدم مخالفته ظاهر النص ، إذ من شروطه عنده ألا يكون بخاطر شيطاني، وتعرف هذه : بعدم الثبوت على الأمر الواحد وسرعة الاستبدال من خاطر بأمر ما إلى خاطر بأمر آخر فإنه حريص، وهو مخلوق من لهب النار ولهب النار سريع الحركة فأصل إبليس عدم البقاء على حالة واحدة في أصل نشأته. [5]

كذلك يجعل من شروط الكشف ألا يُطلب به علم نهى الحق عن طلبه : « ولا يعلم القدر إلا بتقريب الحق وشهوده شهودا خاصا لعلم هذا المسمى قدرا، فأولياء الله وعباده لا يطلبون علمه للنهي الوارد عن طلبه فمن عصى الله وطلبه من الله وهو لا يعلم بالنظر العقلي فلم يبق إلا أن يعلم بطريق الكشف الإلهي والحق لا يقرب من عصاه بمعصيته، وطالب هذا العلم قد عصاه في طلبه فلا ينال من طريق الكشف »[6] وشرطه في الكشف (عدم مخالفة الأدلة الكسبية) هو عين شرطه في التأويل من اعتبار شروط النظر العقلي واستعمال اللفظ في اللسان ، وعدم تجاوز صراحة النص وبنيته ،كل ذلك مع مراعاة ما يقتضيه جلال الله من التعظيم[7].

على الرغم من كل ما تقدم فإنه عند التحقيق يظهر انقسام المتصوفة من حيث منهجهم في التعامل مع الإلهام إلى ثلاث فرق نذكرها مختصرين:

---

(1) الإحياء للغزالي، ج 3، ص 9.

(2) إحياء علوم الدين، ج 1، ص 100.

(3) انظر محيي الدين ابن عربي لعبد الباقي سرور ، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2015م، ص 75.

(4) الفتوحات المكية ، ج1، ص 431 .

(5) السابق، ج 3، ص 97، وانظر التأويل الصوفي ومصطلحه عند محيي الدين بن عربي ، لطيفة يوسفي، أبريل 2021م، بحث منشور على شبكة المعلومات .

(6) الفتوحات المكية، ج 3، ص 42.

(7) السابق، ج6 ص 417 و ج11 ص 259 ويضرب رحمه الله مثالا على التأويل غير المقبول لتجاوز النص الصريح بمن أول (أقرؤهم) في قوله صلى الله عليه وآله يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله بأنه الأفقه ، فهو خطأ لمخالفته قوله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة ، والأعلم بالسنة هو الأفقه ، أما التأويل المردود لمخالفة بنية الكلمة فمثاله من حمل اليدين في قوله تعالى (لما خلقت بيدي) على القدرة ، إذ لا = =يستقيم هذا مع التثنية . انظر بحث الدكتورة لطيفة يوسفي التأويل الصوفي ومصطلحه عند ابن عربي وقارن بالفتوحات ج6 ص 417 , ج 11 ص 259 طبعة دار صادر 1968 .

الفرقة الأولى: متصوفة لم يبالغوا في اعتماد الإلهام مصدراً للعلوم والمعارف، ولم يقدموه على غيره من الأدلة النظرية، فإذا تعارض إلهام مع كتاب أو سنة لم يبالوا به، وهذا مذهب قدامى أئمة التصوف كالجنيد – رحمه الله – الذي يقر بأن مذهبهم مقيد بالكتاب والسنة يقول: « الطرق كلها مسدودة على الخلق، إلا من اقتفى أثر الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – واتبع سنته، ولزم طريقته، فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه، ومذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة ، فمن لم يسمع الحديث ويجالس الفقهاء، ويأخذ أدبه عن المتأدبين أفسد من اتبعه »[1]. وقال سهل بن عبد الله[2]: «بنيت أصولنا على ستة أشياء: كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام، والتوبة، وأداء الحقوق »[3] وقال أبو عثمان الحيري[4] : « من أمّر لسنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة »[5] ، ويعقب عليه الشيخ زروق بقوله : قلت: « وهو أن يأتي بأمر لا وجه له ولا دليل من صاحب الشريعة، كان خيرا أو غيره قال الله تعالى: {وإن تطيعوه تهتدوا}»[6].

وقال أبو العباس بن عطاء الله [7]: « من ألزم نفسه آداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من متابعة الحبيب صلى الله عليه وآله في أوامره وأقواله وأخلاقه ».[8]

وقال أبو حمزة البغدادي [9]: « من علم طريق الحق سهل عليه سلوكه، ولا دليل على الطريق إلى الله تعالى إلا متابعة الرسول صلى الله عليه وآله في أقواله وأفعاله وأحواله »[10].

وقال أبو القاسم النصراباذي[11]: « أصل الخوف ملازمة الكتاب والسنة، وترك الأهواء والبدع، وتعظيم حرمات المشايخ، ورؤية أعذار الخلائق، والمداومة على الأوراد، وترك الرخص والتأويلات »[12].

وعلى هذا سار بعض المتأخرين كأبي الحسن الشاذلي[13] يقول – رحمه الله –: « إذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة، ودع الكشف، وقل لنفسك: إن الله قد ضمن لي العصمة بالكتاب والسنة ولم يضمنها لي في جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة »[14].

---

(1) عدة المريد الصادق، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، المعروف بـ زروق (ت: 899هـ)، المحقق: الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، دار ومكتبة بن حمودة، دار ومكتبة الشعب، ط: 2، 1431 هـ - 2010 م، ص: 36.

(2) هو أبو محمد سهل بن عبد الله التستري أحد أئمة القوم، توفي 283 هـ.

(3) عدة المريد الصادق، ص: 36 .

(4) هو أبو عثمان سعيد بن إسماعيل النيسابوري الحيري، محدث، صوفي، ذكر الذهبي في فضله حكاية وقال: بمثل هذا يعظم مشايخ الوقت..

(5) عدة المريد الصادق، ص: 36 . قوله الذي استشهد به المؤلف ذكره الذهبي في ترجمته. انظر سير أعلام النبلاء 14/ 6..

(6) عدة المريد الصادق، ص: 37، والآية من سورة النور رقم: 54.

(7) هو أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله أبو العباس، كان جامعا للعلوم (ت 709) الديباج 70..

(8) عدة المريد الصادق، ص: 37.

(9)اسمه محمد بن إبراهيم، صوفي عالم بالقراءات، توفي 289 هـ طبقات الصوفية ص 295..

(10)عدة المريد الصادق، ص: 37..

(11) هو إبراهيم بن محمد، شيخ خراسان في وقته، توفي 367. طبقات الصوفية ص 484.

(12)عدة المريد الصادق، ص: 37.

(13) هو أبو الحسن الشاذلي، علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي المغربي، نزيل الإسكندرية، شيخ الطائفة الشاذلية، كان كبير المقدار عالي المقام، له نظم ونثر ومتشابهات وعبارات فيها رموز، توفي سنة 656هـ، انظر: ترجمته في طبقات الأولياء، لابن الملقن سراج الدين عمر بن علي، تحقيق: نور الدين شريبه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1415هـ– 1994م، ص458، والأعلام للزركلي، ج4، 305.

(14) ينظر: الطبقات الكبرى، للشعراني، ج 2، ص4. لوافح الأنوار في طبقات الأخيار، عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشَّعْراني، أبو محمد (المتوفى: 973 هـ)، مكتبة محمد المليجي الكتبي وأخيه، مصر، ط: 1315 هـ.

فهذه الأقوال تدل على أن المنهج الذي سلكه قدامى المتصوفة لا يكاد يختلف في الجملة عن منهج عموم الزهاد والعبّاد من أهل الطريق كانوا أو من غيرهم ، بل هو منهج عموم المسلمين في الاقتداء والاتباع ، وعبارات القوم المشار إليها تدلك على هذا ، فإن قيل : ليس في عبارتهم ما يدل على محل النزاع وهو الموقف من الإلهام اللهم إلا ما جاء عن أبي الحسن ، فجوابه أن واقع حالهم يدل على ما وراء إجمالهم ، وإنما خص أبو الحسن الكشف لتأخر زمانه ، فقد خرج إلى الدنيا في زمن شاع فيه هذا واختلط غثه بسمينه، فاحتاج إلى نص عليه خاصة ، وقد اختصر الشيخ اليوسي [1]مذهب من أشرنا إليهم بقوله : (لا يصح شيء من الباطن إلا بعد تصحيح الظاهر بالعلم ، فالطريق كله مبني على العلم ثم العمل ثم الفتوحات والمواهب من الله تعالى، فمن لا علم له لا عمل له ، ومن لا عمل له لا موهبة له) [2]

الفرقة الثانية: متصوفة يقولون بالإلهام ويعلون من شأنه، مع قولهم بضرورة تحصيل جميع العلوم وأخذ الحظ الأوفر منها « فإنه لا سعادة لأحد إلا بالعلم والمعرفة »[3] ويجعلونه من شروط حصول العلم اللدني، بل إنهم مع إقرارهم بأن العلم الكسبي لا يكفي وحده لإدراك الحقائق وكشف الأسرار يقرون بأن الطريق الأمثل هو تحصيل ما حصله العلماء ثم لا بأس من انتظار الكشف، وأبرز من مثل هذا الاتجاه الإمام الغزالي – رحمه الله – يقول في الإحياء: « لابد من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما يكشف لسائر العلماء، فعساه ينكشف بعد ذلك بالمجاهدة »[4]. وهو يقر كذلك بأن الخروج عن طريق العلم واعتماد طريق الإلهام وحده دون أن يسبقه اشتغال بالتعلم لا يخلو من مخاطرة عظيمة،: « وإذا لم تتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة تطمئن النفس إليها مدة طويلة إلى أن يزول وينقضي العمر قبل النجاح فيها، فكم من صوفي سلك هذا الطريق ثم بقي في خيالٍ واحدٍ عشرين سنة، ولو كان قد أتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال في الحال »[5] « وزعموا أن ذلك يضاهي ما لو ترك الإنسان تعلم الفقه وزعم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يتعلم وصار فقيها بالوحي والإلهام من غير تكرير وتعليق، وأنا أيضاً ربما انتهت بي الرياضة والمواظبة إليه، ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره، بل هو كمن ترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور على كنز من الكنوز، فإن ذلك ممكن لكنه بعيد جداً فكذلك هنا ».[6]

فالغزالي – رحمه الله – يرى أن من طلب الكسب والزرع عليه بالحراثة لا انتظار العثور على الكنز، لكن ما الذي خالف فيه – رحمه الله – متقدميه وبعض المتأخرين حتى عُدّ ممثلاً لفريق غير فريقهم؟

تقدم أن أصحاب الاتجاه الأول يرون أنه إذا خالف الإلهام وما في حكمه النص قدم النص ولم يلتفت إلى الإلهام، لكن الغزالي – رحمه الله – يخالفهم في هذا، إذ هو يرى أن الإلهام لا يخالف النص، بل هو شارح ومفسر له، فإن بدا في الظاهر أنه مخالف أُوّل النص؛ لأن الإلهام إدراك بنور إلهي ، يقول – رحمه الله – عند ذكره مذهب الحنابلة ومذاهب غيرهم من المعتزلة والفلاسفة وأرباب المقامات في أسرار صفات الله تعالى وما ذكر في شأن الآخرة ، وانقسامهم بين مسرف في رفع الظواهر قائل بالتأويل في كل أمر، وبين مغال في حسم الباب مانع للتأويل جملة: « وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال – إشارة إلى غلاة المتأولين – وبين جمود الحنابلة دقيق غامض، لا يطلع عليه إلا الموفقون الذين يدركون الأمور بنور إلهي لا بالسماع، ثم إذا انكشف لهم أسرار

---

(1) هو: الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي: فقيه مالكي أديب، يُنعت بغزالي عصره.من كتبه : (قانون أحكام العلم – ط) و (الكوكب الساطع في شرح جمع الجوامع) للسبكي، لم يكمله، قال صاحب الصفوة: لو كمل هذا الشرح لأغنى عن جميع الشروح توفي سنة 1102 هـ الأعلام ج2 ص 223

(2) الرسائل لأبي علي الحسن بن مسعود اليوسي، جمع وتحقيق ودراسة: فاطمة خليل، الدار البيضاء، دار الثقافة، ط: 1، 19891م، ج 2، ص 355، وانظر في ذلك بحث الأستاذ خالد التوزاني "الإلهام في الكتاب الصوفية روافد وتجليات وإشكالات، .

(3) الإحياء، ج: 3 ، ص: 283.

(4) الإحياء، ج: 3، ص: 20.

(5) السابق، ج: 3، ص: 20 .

(6) السابق، ج: 3، ص: 20.

الأمور على ما هي عليه نظروا إلى السمع والألفاظ الواردة ، فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه وما خالف أوّلوه، فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد فلا يستقر له فيها قدم ولا يتعلق له موقف »[1].

فالغزالي — رحمه الله — لا يوافق أصحاب الاتجاه الأول في تقديم السمع مطلقاً إذا خالف ما يعتبره مشاهدة بنور اليقين، وهو الإلهام الصادق الذي هو للولي كالوحي للنبي، وموقف الغزالي هذا مرده لا إلى كون الإلهام معارضاً النص عنده فيلام على تقديم الإلهام على النص، بل مرجعه إلى كونه عنده شارحاً مبيناً، فهو لا يعدو أن يكون فهماً كفهم المجتهد، كل ما هناك أن فهم المجتهد بعلم مكتسب، وهذا إدراك بنور إلهي.

بقي الإشارة إلى أن هذا الفريق يخالف سابقه كذلك في القول بأن علم الولي الحاصل بالإلهام والكشف هو علم إحاطة يقول الغزالي — رحمه الله — : « وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلهية ».[2]

الفرقة الثالثة: متصوفة قالوا بنمط جديد من الإلهام وتوالت إشاراتهم إليه، هو إلهام المبنى بعد إلهام المعنى، فلم يعد الإلهام عندهم قاصرا على المعاني التي تقذف في القلب، بل صار إلهاما في بناء الكتاب لا في موضوعه فقط[3]، فلا عمل فيه وقد ألقي جملة إلا الإظهار والتبليغ . (ما ألقي إلا ما يلقى إلي)، ويأتي ابن عربي على رأس هؤلاء الذين جعلوا من علم الخرق أو الكشف بطريق الإلهام مصدراً عجيباً لأغلب كتاباتهم ،حتى ذكر أن معظم كتاباته إنما هي من الفتوحات الواردة على قلبه، يقول في الفتوحات : « فجميع ما نتكلم فيه في مجالسي وتصانيفي إنما هو من حضرة القرآن وخزائنه أعطيت مفتاح الفهم فيه والإمداد منه، وهذا كله حتى لا يخرج عنه فإنه أرفع ما يمنح، ولا يعرف قدره إلا من ذاقه وشهد منزلته حالاً من نفسه وكلمه به الحق في سره، فإن الحق إذا كان هو المكلم عبده في سره بارتفاع الوسائط فإن الفهم يستصحب كلامه منك، فيكون وعين الكلام منه عين الفهم منك لا يتأخر عنه، فإن تأخر عنه فليس هو كلام الله، ومن لم يجد هذا فليس عنده علم بكلام الله عباده، فإذا كلمه بالحجاب الصوري بلسان نبي أو من شاء الله من العالم فقد يصحبه الفهم وقد يتأخر عنه، هذا هو الفرق بينهما» [4].

ويقول مفتتحا كتابه شق الجيب بعلم الغيب: « الحمد لله رب العالمين، الذي وفقني للسباحة في بحر اليقين وقوّاني على إخراج الدرر من أصداف العبارات والاستعارات العجيبة والأوضاع الحديثة الواردة على قلبي بإلهام ربي، وهي في الحقيقة درر عوارفه في حق العارفين»[5] ، ويقول عن كتابه الفتوحات المكية : «بنيت كتاب هذا بل بناه الله لا أنا على إفادة الخلق ، فكله فتح من الله تعالى ، وسلكت فيه طريق الاختصار »[6] ، وهذا وما قبله وإن كان يحتمل التأويل بأن المقصود به التوفيق كما يُلهَم أي مؤمن، خاصة مع قوله سلكت فيه طريق الاختصار، فإن ما ذكره عن كتابه فصوص الحكم يتجاوز به حد إلهام المعاني ، إلى درجة لا يعدو فيها فعل ابن عربي إبراز الكتاب وتبليغه إلى الناس بعد أن يتلقاه من الرسول — صلى الله عليه وآله وسلم — كما هو: (إلهام ألفاظ ومبان) :« فإني رأيت رسول اللهﷺ وبيده كتاب فقال لي: هذا كتاب فصوص الحكم خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به، فقلت: السمع والطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر منا كما أمرنا، فحققت الأمنية وأخلصت النية وجردت القصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب كما حده لي رسول اللهﷺ من

---

(1) الإحياء، ج: 1، ص: 104.

(2) الأحياء ج3 ص 216.

(3)انظر مقدمة التحقيق لكتاب الإسراء إلى المقام الأسرى لابن عربي ، حيث تقول محققة الكتاب : (ولكن بعد عام 597 ، وبعد الرؤيا التي رأى فيها أنه تزوج من حروف الهجاء ، توالت مؤلفاته حاملة نفسا جديدا من حيث المبنى ، وتوالت إشاراته في مقدمة الكتب ، كالفتوحات مثلا ، الذي بدأه في مكة عام 598هـ ، إلى نمط جديد من الإلهام ، وهو الإلهام في بناء الكتاب وليس في موضوعه فقط) الإسراء إلى المقام الأسرى (كتاب المعراج) لابن عربي ، تحقيق وشرح الدكتورة سعاد الحكيم ، دندرة للطباعة والنشر ط1، 1408هـ /1988م ص 18 مقدمة التحقيق.

(4) الفتوحات المكية ج 6 ص 61.

(5) مجموعة رسائل الشيخ ابن عربي، ضبط: عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية، رسالة شق الجيب بعلم الغيب بكن ويكون ودر الدرر، ص: 33.

(6) الإسرا إلى المقام الأسرى هامش رقم 18ص 18 وقد غزته إلى الفتوحات ج1 ص 12 وج4 ص 93.

غير زيادة ولا نقصان، وسألت الله ... أن يخصني في جميع ما يرقمه بناني وينطق به لساني ... بالإلقاء السبوحي والنفث الروحي ... حتى أكون مترجما لا متحكما ..فما أُلقي إلا ما يلقى إلي ، ولا أُنزل في هذه السطور إلا ما ينزل به علي ، ولست بنبي ولا رسول ، ولكني وارث ، ولآخرتي حارث »[1].

ويقول عن الباب الثالث والسبعين بعد ثلاثمائة من كتابه الفتوحات : « فالعلم الإلهيّ هو الذي كان سبحانه معلمه بالإلهام والإلقاء وبإنزال الروح الأمين على قلبه، وهذا الكتاب من ذلك النمط عندنا، فوالله ما كتبت منه حرفاً إلا عن إملاء إلهيّ وإلقاء رباني أو نفث روحاني في روع كياني، هذا جملة الأمر مع كوننا لسنا برسل مشرعين ولا أنبياء مكلفين بكسر اللام سم فاعل، فإن رسالة التشريع ونبوّة التكليف قد انقطعت عند رسول الله محمد ﷺ فلا رسول بعده ﷺ ولا نبيّ يشرّع ولا يكلف، وإنما هو علم وحكمة وفهم عن الله فيما شرعه على ألسنة رسله وأنبيائه عليهم سلام الله وما خطه وكتبه في لوح الوجود من حروف العالم وكلمات الحق، فالتنزيل لا ينتهي بل هود دائم دنيا وآخرة »[2]

ومن الكتب التي هي نتاج كشف ومنحة كما يقول الشيخ — رحمه الله – رسالته المسماة « ضوء الهالة في ذكر هو والجلالة » والتي يقول عن خبرها أبو سالم العياشي: « وقد رأيت هذه الرسالة وهي في كراسة، مضمنها أن الشيخ ﷺ طاب وقته ليلة من الليالي لورود بعض العارفين لزيارته، فأخذ بذكر «هو الله» على كيفية بينها في الرسالة وذلك فيما بين المغرب والعشاء، فاستغرق في الذكر إلى أن حصلت له غيبة مقدار ربع ساعة، أو نحو ذلك، فكشف له في تلك الغيبة من أسرار الملك والملكوت ومعاني الأسماء والصفات ومنح من العلوم الوهبية ما يحير العقول سماعه، فذكر ﷺ في تلك الرسالة أنواع العلوم التي وهبها في تلك الغيبة والكشوفات التي حصلت والأسرار الروحانية التي منحها في تلك المدة القليلة، وذلك شيء يَستغرب وقوعه في هذه الأعصار من لم يؤيده الله بمدد التصديق بأهل ولايته » . [3]

وهذا الذي ذكره ابن عربي — رحمه الله — عن بعض كتبه خاصة فصوص الحكم وأشار إليه العياشي ذكره الجيلي[4] كذلك عن كتابه الإنسان الكامل: « وقد أسست كتابي هذا على الكشف الصريح ... فأمرني الحق بإبرازه بين تصريحه وإلغازه ، ووعدني بعموم الانتفاع فقلت طوعاً للأمر المطاع ، وابتدأت في تأليفه »[5].

ولا يخفى ما في هذا، إذ يكاد صاحبه يجعل مكتوبه كله من الحق المبين الذي لا نزاع فيه، وكيف ينازع فيه وعن فيض الإلهام كتب، بل هو تلقاه جملة كما هو ، (معنى ومبنى)، فما حظ صاحبه منه إلا الخط!!

وإذا كان ما سبق يبدو غريباً أن يقع على هذه الشاكلة، فإن الأغرب أن يقع مثله لرجل أمي لا يحفظ القرآن ولم ير في مجلس علم ،كما وقع لعبد العزيز الدباغ الذي وقع له الفتح وجمع في قلبه من المعارف والعلوم ما لا يحصيها إلا ربه تعالى، فكان ينطق بالحقائق « وقد تضمن الإبريز من كلامه ما يدعو إلى العجب والحيرة، التي لا يزول بعضها إلا باستحضار كتب القوم وما فيها من غرائب، حيث يصير خرق عوائد الأشياء عادة»[6].

---

(1) مقدمة كتاب فصوص الحكم، ضبط عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 33.

(2) الفتوحات المكية ج 6ص 233.

(3) الرحلة العياشية للبقاع الحجازية، تحقيق: أحمد فريد الزيدي، ج 1، ص 386، دار الكتب العلمية.

(4) عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي، ابن سبط الشيخ عبد القادر الجيلاني: من علماء المتصوفين. له كتب كثيرة، منها " الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل – ط " في اصطلاح الصوفية، و " الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم – ط " و " المناظر الإلهية – خ " ورسالة " السفر القريب – خ " و " حقيقة اليقين – خ " و " مراتب الوجود – خ " و " شرح مشكلات الفتوحات المكية – خ " و " الكمالات الاهلية في الصفات المحمدية توفي 832 هـ . ترجمته في الأعلام ج 4 ص 50.

(5) الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر لعبد الكريم بن إبراهيم الجيلي، تحقيق: د. عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية، ج 1، ص 29.

(6) انظر بحث الإلهام في الكتابات الصوفية، وقد عزاه إلى شرح مشكلات الفتوحات المكية لابن عربي، يوسف زيدان، دار الأمين للطباعة، ط 1، 1999م، ص: 200.

وهذا الذي حصل للدباغ مما يستغرب يبدو أن أهل الطريق لا يستغربونه كما نستغرب، فهذا ابن عجيبة[1] يقول: « وكثير من الأولياء والأكابر كانوا أميين، وفي أسرار الولاية راسخين »[2].

وهذا ابن عربي يذكر عن محتسب فاس : « ورأيت ابن الحجازي المحتسب بمدينة فاس ولم يكن صاحب علم بالشريعة يوفقه الله لإصابة الحكم ، وأعرف من صلاحه أنه ما فاتته تكبيرة الأحرام خلف الامام في الصلوات كلها بجامع القرويين إلى أن مات، فكانت أحكامه في حسبته تجري على السداد إلهاماً من الله ، فكان يقول إني لأعجب من أمري ما اشتغلت بعلم أحكام الشريعة وأوفق حكم الشرع في جميع أحكامي ، ولم يقدر أحد من علماء الشريعة يأخذ عليه في حكم لم يقل به مجتهد ، هذا وحده رأيته من عامة الناس معتنى به ، ولم يكن من أهل الطريق بل كان حريصاً على الدنيا مكباً عليها كسائر عامة الناس ، لكن كان منور الباطن ولا يشعر بذلك ».[3]

بعد هذا التجوال الموجز لعله من المفيد أن نختم بالإشارة إلى أن كتابات أصحاب هذا الفريق كثيراً ما يكتنفها الغموض ويستعصي فهمها لما فيها من تركيز وتكثيف واستغلاق ، يقول العياشي واصفاً فصوص الحكم: « من أغمض كتب الشيخ محيي الدين إشارة وأدقها عبارة، على صغر حجمه، وقد اعتنى الناس بشرحه، فشرحه جماعة كثيرة، مع ذلك حارت أفهامهم في فهم كثير من رموزه، واستخراج خبايا كنوزه »[4].

كذلك فإن تلك الكتابة لم تكن مهيئة لكل قارئ وذلك لأن « للمكونات المعرفية والجمالية في الكتابة الصوفية لا تحقق دلالاتها إلا بحضور متلقٍ متذوق، فليس من السهولة كشف ستور هذه الكتابة، فكتابات القوم التي هي فيوض الإلهام ليس كأي كتابة» [5]، وعباراتهم ليست كأي عبارة؛ لذا فالمتلقي المستقبل لفيض ذلك الإلهام ليس كأي متلقٍ؛ لأن الكتابة الصوفية : « لا تقدم سرها مباشرة ولا تبينه لأي قارئ كان ... إنها تستبعد القارئ الساذج الذي يريد المعنى في وضوحه وإشراقه وشفافيته، أي القارئ الذي ينعدم عنده حس المعاناة »[6] « وإذا كانت التجربة الصوفية في عمومها تسقى بماء واحد مصدره ينبوع المحبة أو بحر الحب الذي يخلخل المرء عن عقله، ويأخذ بكله فإن التعبير عن هذه التجربة الفريدة قد اتخذ مسارات غير مألوفة، حيث تصبح الكتابة تجربة في حد ذاتها، فلا نكاد نفرق في النهاية بين التجربة والكتابة والصوفي، ويصبح الكل معبراً عن الكل، ولا يتبين من صنع من، وهذا مكمن جمالية هذا النوع من الكتابات إلى درجة السكر الجمالي الذي يغيب الحواس مفسحاً المجال للقلب كي يتذوق بعض الحقائق ، وقد يتصاعد التماهي فيبلغ درجة قصوى بأن يصبح الصوفي وهو في قمة الوصال وتلقي الرحمات والفيوضات معبراً عن الكل ، وربما كل الكل، أوكل كلّ الكل ». [7]

---

(1)هو أحمد بن محمد بن المهدي مفسر صوفي مشارك من أهل المغرب، له كتب كثيره منها البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، وأزهار البستان في طبقات المالكية الأعيان (مخطوط) وإيقاظ الهمم شرح الحكم، لابن عجيبة، توفي سنة 1224هـ – 1809م. انظر ترجمته في الأعلام دار العلم للملايين ط15، مايو 2002 م ،ج 1 ص 245.

(2) الفتوحات الإلهية شرح المباحث الأصلية، أحمد بن محمد بن عجيبة، ضبطه وصححه عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية، ص: 102، وقد جاء كلامه هذا عن شيخه عبد الرحمن المجذوب وذكر فيه أمثلة على ما أشار إليه عن غيره.

(3) الفتوحات المكية، ج 4، ص 291.

(4) الرحلة العياشية، ج 1، ص 429 .

(5) بحث الإلهام في الكتابات الصوفية، جمال النوراني، ص 2..

(6) أبعاد التجربة الصوفية، عبد الحق منصف، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ط 1، 2007م، وقارن ببحث الأستاذ جمال النوراني في الإلهام في الكتابات الصوفية..

(7) ينظر بحث الأستاذ التوزاني، وقد عزاه إلى القصيدة الثانية لمحمد عبد الكريم الكتاني ، تقيم وتحقيق: عبد الوهاب القيلالي، مجلة المربد، العدد 5، 1993م، والعدد: 6، 1994م.

« هكذا تتأسس المعرفة الصوفية بعيداً عن مألوف الكتابة العادية؛ لأن انشغال الصوفي بالعلويّ جعله لا يتنفس إلا هواء المقدّس فلا ينطق إلا بما يراه مستمدّاً من الحق، ناطقاً بألوان الإشارة والغيب مما لم يجر العرف بتداوله، فيصنع لغته الخاصة التي لا يفهمها في بعض الأحيان إلا هو ».[1]

وهكذا لم يكن غريباً أن تأتي بعض الكتابات الصوفية مختلفة عن أنماط التأليف المألوف لأنها — حسب الصوفي — « إلهامات ورؤى تلقاها من الله وأمر بإبلاغها للناس، ولذلك من الطبيعي ألا تخضع في ترتيب فصولها وأبوابها لقواعد التأليف المعتادة، فلا يخضع تنسيقها لنظر الكاتب ولا لعقل المدون»[2] « وبذلك تنجح الكتابات الصوفية في اقتحام آفاق جديدة من القراءة والتأويل بما تستنبطه من جماليات متفردة تعكس فكراً مغايراً لنمط التأليف المألوف أو التفكير العادي ».[3]

بعد هذا التطواف الذي وإن طال فقصير جداً حول اتجاهات المتصوفة في الأخذ بالإلهام بين مقل ومكثر، يمكن القول بأن مذاهب القوم تمثلت في:

فريق يقر بالإلهام ما لم يخالف نصّاً من كتاب أو سنة ، فإن خالف تركه وأعرض عنه، وهو كذلك لا يبالغ في القول به، وقد كان هذا شأن أغلب متقدمي المتصوفة.

فريق مقر بالإلهام كما هو الأمر عند من سبق، لكنه يرى أن الإلهام لا يتصور مخالفته النص، فإن خالف في الظاهر وجب المصير إلى التأويل؛ لأن الإلهام يقين النور الإلهي الذي قذفه الله في قلب العبد، فلا يعارض أبداً ما أنزل الله ، فإن بدا تعارض ففي الظاهر فقط، لذا وجب المصير إلى تأويل النص، فإن قيل : لمَ لا يصار إلى ردّ الإلهام أو الظن به، فجوابه أن كلامنا في إلهام هو اليقين عند القوم لا في غيره.

وهذا الفريق خالف من سبق في هذا، ووافق الفريق الآتي "الثالث" في القول بأن صاحب الإلهام مطلع أو قد يطلع على العلوم جميعها فيحيط بها.

فريق مقر بالإلهام كسابقيه، ومقر بإمكان إحاطة صاحبه بالعلوم، كما هو عند أصحاب الاتجاه الثاني، لكنه زاد عليهم بقوله: إن الإلهام قد يتحول إلى تلقٍ مباشر يأخذ به الملهَم النص كاملاً، كما أخذ الأنبياء، وكل عمل للملهَم فيه حينئذ أن يبلّغ، وهذا الفريق لمبالغته في أمر الإلهام كان الأقرب إلى مطاعن الخصوم ، ورميهم له بالعظائم !!!

❁❁❁

(1) قارن بشرح ابن عربي لترجمان الأشواق المسمى ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق ، كلاهما لابن عربي، تحقيق: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، ط: 1، 2000م، .

(2) قارن ببحث الأستاذ التوزاني " الإلهام في الكتابات الصوفية"..

(3) المرجع السابق.

الخاتمة

الحمد لله أن شرح صدورنا للإسلام، ونسأله أن يتم النعمة بحسن الختام، وبعد:

فقد كنت أحاول مرة ومرة أن ابتدئ الكتابة عن الإلهام، بعد أن جمعت وتهيأت، لكن حكمة من على أمره غالب لم تشأ فلم يكن، فلما شاءت تغيرت أحوال، وقضت بتغير أقدار أقدار، فبُرِيت بعد أن بَرِئت أقلامٌ وفُتحت قراطيس، وسال مِدادٌ ومَدد، ودُوّنت صحف نرجو أن تَثقُل بها موازين، وكتابُ يمين، فتكون بشرى : (هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ)، وعقبى : (هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الخَالِيَةِ)، فلله الحمد والفضل أن سقى بغيث توفيقه هامدة فاهتزت، وأنبتت "إلهام أرباب السلوك" ، فلما أينع كان من ثماره:

الثمرة الأولى: وقوع الإلهام أمر أجمع على القول به أهل الملة ، لدلالة القواطع عليه .

الثانية : اختلف في كون الإلهام مدركا من مدارك العلوم ، فقال به قوم ومنعه آخرون .

الثالثة : كان للصوفية مزيد عناية بالإلهام ، لعنايتهم بما سموه علم الآخرة ، الذي هو غاية العلوم ، والإلهام والكشف هما سبيل هذا العلم وطريقه .

الرابعة : مع إعلاء الصوفية قدر علم الباطن فإنهم لم يهملوا علم الظاهر ، بل عدوه واجبا أولا قبل النظر في علم السلوك والقلوب، لكنهم لم يبلغوا بهذا مبلغ الاكتفاء به ، إذ هو غير كاف لمعرفة أسرار الحقائق والموجودات ، فذلك لا يكون إلا بعلم الباطن الحاصل إلهاما وذوقا بالمجاهدة والرياضة .

خامس الثمار : عرف المتصوفة الإلهام بتعريفات متعددة يمكن إجمالها في كونه : (ما يرد على الضمائر من خاطر من الله أو من الملك ، يورث علما من غير اكتساب ولا حيلة دليل ، وهو مظهر كمالات خفية من الدين، لا مثبت كمالات زائدة) .

السادسة : اعتنى الصوفية بالعلم الناشئ عن الإلهام (العلم اللدني) ففصلوا فيه وأشبعوا ، وهو عندهم : علم يفهمه أرباب القرب بالتعليم الإلهي لا بالدلائل العقلية والشواهد النقلية .

السابعة : العلم اللدني عند أرباب السلوك أعلى العلوم منزلة وأشرفها ، فهو من لدنه تعالى ، وهو علم الأنبياء والأولياء، ولا يخطئ أبدا ،وقد عرفه الهروي بأنه ذلك العلم الذي : « إسناده وجوده ، وإدراكه عيانه ، ونعته حكمه ، وليس بينه وبين الغيب حجاب».

أما الغزالي فقد خصه برسالة سماها الرسالة اللدنية شرح فيها أنواع العلم وبين الفرق بين علم النبي وعلم الولي ، ولماذا كانت علوم الأنبياء أشرف العلوم ، كما شرح الفرق بين علوم الصوفية وعلوم العلماء ، وبين الأسباب التي ينال بها المرء هذا العلم .

والعلم اللدني عند ابن عربي هو: « علم الأسرار ، ذلك الذي لا يدرك باكتساب ولا بذوق ، إذ هو فوق طور العقل ، وإنما ينفث في روع نبي أو ولي » .

ثمرة ثامنة : الطريقة التي ذكرها أرباب السلوك والرياضة لاجتلاب فيوض الإلهام تقوم على الانصراف إلى جلاء القلب وتطهيره وتصقيله بالرياضة والمجاهدة ، فيتهيأ وقد طهر وصقل لتلقي العلوم والمعارف ، وهذا على خلاف طريقة العلماء القائمة على جلب العلم إلى القلب بالعمل على اكتسابها .

التاسعة : مع إجماع أهل التصوف على أن الإلهام لا يخالف شرعا، فإنهم قد انقسموا في تعاملهم معه على ثلاث :

1. فرقة لم تبالغ ولم تقدم ، فإذا خالف إلهام عندهم دليلا من نص تركوه ، وقدموا النص ، لأن الإلهام عندهم مؤنس لا مؤسس، وهؤلاء هم قدامى المتصوفة وبعض متأخريهم ، وهم في مذهبهم سائرون على ما عند غيرهم من العباد والزهاد وعلماء الظاهر.

2.فرقة مذهبها أن الإلهام حق والنص حق ، فلا يتعارضان ، وإنما ذلك في الظاهر ، فإن تعارضا أُول النص ، لأن الإلهام يقيني والنص حمال أوجه ، وأبرز هؤلاء الإمام الغزالي .

3.فرقة وصفت بأنها بالغت في اعتماد الإلهام والاعتداد به ، فتجاوزت به إلهام المعنى إلى إلهام المبنى ، وإلهام المضمون إلى إلهام الكلمة ، فلم يعد الإلهام عندهم معاني تلقى بل كلمات تتنزل ، وأبرز هؤلاء ابن عربي والجيلي ، وقد كانوا لغرابة ما قالوا أقرب من سابقيهم إلى المطاعن والريَب، غفر الله لنا ولهم .

اللهم مولانا صلّ على محمد مولانا وعلى آل محمد بما علمتنا، وبما علمت من لدنك أحدا من خلقك ، وبما استأثرت به في علم الغيب عندك ، فإنك قلت والحق تقول : (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) ، فصلّ اللهم على محمد وعلى آل محمد في الأولين ، وصل على محمد وعلى آل محمد في الآخرين ، وصل على محمد وعلى آل محمد في الملإ الأعلى إلى يوم الدين ، وصل على محمد وعلى آل محمد في نفسك صلاة تخصهم دون العالمين ، تعلمها أنت ولا يعلمها أحد سواك ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد على قدرك وقدره، ولا يعلم قدرك وقدره إلا أنت، وصل اللهم على عبادك الصالحين ، وعلينا معهم بحبنا وإن لم نكن ، وارحم يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما هاته الساعة وكل ساعة أمّ علي وكل أب وأم مسلمة، وأنزل عليهم طيباتك المباركات، وتصدق فضلاً منك ونعمة على عبيدك هذا بقبول عمله هذا، مُثقِّلاً به مبارَكاً مضاعَفاً موازين من حملت وهنا على وهن ، هدية من ولدٍ يرجو إذا حلت ساعة أن يلحق على خير.

« فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، وله الحمد في السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون ، يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، ويحيي الأرض بعد موتها، وكذلك تخرجون».

❁❁❁

قائمة المصادر والمراجع :

1. أبعاد التجربة الصوفية، عبد الحق منصف، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ط 1، 2007م.
2. أبكار الأفكار في أصول الدين، علي بن محمد بن سالم التغلبي، أبو الحسن، سيف الدين الآمدي (المتوفى: 631هـ)، تحقيق: أ. د. أحمد محمد المهدي، دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة، ط: 2، 1424 هـ – 2004م.
3. إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي دار المعرفة بيروت .
4. الإسراء إلى المقام الأسرى (كتاب المعراج) لابن عربي ، تحقيق وشرح الدكتورة سعاد الحكيم ، دندرة للطباعة والنشر ط1، 1408هـ /1988م.
5. الأعلام لخير الدين الزركلي دار العلم للملايين ط15، مايو 2002م .
6. الإلهام في الكتابات الصوفية روافد وتجليات وإشكالات خالد التوزاني بحث بمجلة يتفكرون العدد5 خريف 2015 م .
7. الإلهام معناه وحجيته ، علي عبد السلام شميلة، منشور بمجلة كلية الشريعة الأسمرية .
8. الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل لعبد الكريم الجيلي تحقيق صالح بن محمد بن عوض بيروت دار الكتب العلمية ط1، 1991م.
9. البحر المحيط تحقيق محمد تامر دار الكتب العلمية بيروت ،ط1 ، 1421هـ / 2000م .

10. بهجة الأسرار ومعدن الأنوار في مناقب الجيلاني تأليف علي يوسف الشطنوفي تحقيق جمال الدين الكيلاني ط2، المنظمة المغربية للثقافة والعلوم فاس .
11. التأويل الصوفي ومصطلحه عند محيي الدين بن عربي ، لطيفة يوسفي، أبريل 2021م.
12. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ)، المحقق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف – الرياض، ج 2، ص 180.
13. الجامع لعلوم الإمام أحمد – قسم الفقه، أبو عبد الله أحمد بن حنبل، خالد الرباط، سيد عزت عيد [بمشاركة الباحثين بدار الفلاح]، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم – جمهورية مصر العربية، ط 1، 1430 هـ - 2009 م.
14. الجواهر والدرر ، عبد الوهاب الشعراني، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 2005م.
15. حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب هامش قوت القلوب في معاملة المحبوب، محمد بن الحسن الأسنوي، المطبعة الميمنية، مصر ، 1310 هـ، بهامش كتاب قوت القلوب في معاملة المحبوب، لمحمد بن على المكى.
16. درء تعاقل العقل والنقل لابن تيمية تحقيق محمد رشاد نشر جامعة محمد بن سعود ط1411،2هـ/1991 م.
17. الدرر المكنونات النفيسة في تقريب المكتوبات الشريفة لأحمد بن عبد الأحد السرهندي تعريب محمد مراد الفراني مكتبة النيل القاهرة .
18. ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق ، كلاهما لابن عربي، تحقيق: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، ط: 1، 2000م.
19. الرحلة العياشية للبقاع الحجازية المسمى ماء الموائد لعبد الله بن محمد العياشي ، تحقيق وتعليق: أحمد فريد الزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت،
20. الرسالة القشيرية عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف ، دار المعارف، القاهرة .
21. الرسالة اللدنية للإمام الغزالي طبعت مع رسالة كنه مالا بد للمريد منه لابن عربي مطبعة كردستان العراق ط1328هـ.
22. الرسائل لأبي علي الحسن بن مسعود اليوسي، جمع وتحقيق ودراسة: فاطمة خليل، الدار البيضاء، دار الثقافة، ط: 1، 19891م.
23. سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748 هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: 3، 1405 هـ - 1985م
24. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت 1089 هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط: 1، 1406 هـ - 1986م.
25. شرح مشكلات الفتوحات المكية لابن عربي، يوسف زيدان، دار الأمين للطباعة، ط 1، 1999م.
26. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي تحقيق محمد زهير الناصر دار طوق النجاة، ط: 1، 1422هـ.

27. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (206- 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1374 هـ - 1955 م طبقات الأولياء، لابن الملقن سراج الدين عمر بن علي، تحقيق: نور الدين شريبه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1415هـ- 1994م.
28. طبقات الصوفية محمد بن الحسين السلمي تحقيق مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية بيروت ط1، 1419 هـ/1998م.
29. الطبقات الكبرى = لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشَّعْراني، أبو محمد (المتوفى: 973 هـ)، مكتبة محمد المليجي الكتبي وأخيه، مصر، عام النشر: 1315 هـ. ،
30. عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصوفية ليوسف زيدان مصر الهيئة المصرية العامة للكتاب ط1، 1988م .
31. العبودية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت 728 هـ)، المحقق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، ط: 7، 1426هـ - 2005م
32. عدة المريد الصادق، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، المعروف بـ زروق (ت: 899هـ)، المحقق: الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، دار ومكتبة بن حمودة، دار ومكتبة الشعب، ط: 2، 1431 هـ - 2010 م.
33. الفتوحات الإلهية شرح المباحث الأصلية، أحمد بن محمد بن عجيبة، ضبطه وصححه عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية.
34. الفتوحات المكية لمحيي الدين ابن عربي طبعة دار صادر 1968 .
35. الفتوحات المكية لمحيي الدين ابن عربي، تحقيق: أحمد شمس الدين، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.
36. قواعد التصوف، أحمد زروق، تحقيق: عبد المجيد خيال، دار الكتب العلمية، بيروت.
37. لطائف المنن والأخلاق تأليف أبي المواهب عبد الوهاب الشعراني وضع حواشيه سالم مصطفى البدوي دار الكتب العلمية.
38. مجموعة رسائل الشيخ ابن عربي، ضبط: عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية، رسالة شق الجيب بعلم الغيب بكن ويكون ودر الدرر.
39. محيي الدين ابن عربي لعبد الباقي سرور ، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2015م.
40. مدارج السالكين، بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم شرح منازل السائرين للهروي تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي دار الكتاب العربي بيروت ط3، 1416 هـ / 1996 م . .
41. المستصفى من علم الأصول للغزالي تحقيق محمد بن سليمان الأشقر مؤسسة الرسالة بيروت ط1417،1هـ / 1997 م .
42. مسلم الثبوت لعبد العليم حمد بن نظام اللكنوي ،وشرحه فواتح الرحموت لمحل الله بن عبد الشكور البهاري، ضبطه وصححه : عبدالله محمود عمر دار الكتب العلمية، ط1/ 1423هـ 2002م.
43. المنطق للشيخ محمد رضا المظفر مؤسسة النشر الإسلامي
44. المنقذ من الضلال لأبي حامد الغزالي، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود دار الكتب الحديثة مصر .
45. موسوعة التراجم والأعلام دار الكتب العلمية بيروت ط1، 1977 م.